كيف تكون خطيباً

ومتحدثاً ناجحاً

يوزع مجانا عن روح الوالدين

إعداد
نايف الرجوب

الطبعة الأولى
1437 هـ / 2016 م

الإهداء

إلى الذين عشقوا صعود المنابر الذين ايقنوا أن الخطابة مضمون ورسالة وهدف.

إلى الوالدين الذين ربياني صغيرا

إلى الزوجة أم حذيفة، والأولاد الدكتور حذيفة، ويوسف، ومحمد، ومحمود، والبنات سجود، وسجى، وسمية، وجنى، وإلى أزواج الأولاد ام يمان، وأم يعقوب، والأحفاد ماسة، ويمان، ويمنى.....

أهدي هذا الكتاب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، القائل"ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"[1] والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه واهتدى بهديه الى يوم الدين، وبعد:-

فان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: "يا أيها الذين أمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعو الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما، قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين"[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- "اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب أنصت فقد لغوت"[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال :- "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم "[4]

قال الجاحظ :- صناعة الكلام علق نفيس وجوهر ثمين، وهو الكنز الذي لا يفنى، ولا يبلى، والصاحب الذي لا يمل ولا يقلى، وهو العيار على كل صناعة, والزمام

[1] سورة الروم 22
[2] سورة الجمعة 9-11
[3] رواه الجماعة إلا ابن ماجة
[4] رواه مسلم والإمام أحمد

لكل عبارة, والقسطاس الذي يستبين نقص كل شيء وكدره، والذي كل علم عليه عيال, ولكل تحصيل آلة وكمال.[1]

هذه مجموعة من المحاضرات ألقاها الكاتب على الأئمة والخطباء في مديرية أوقاف جنوب الخليل، في عامي 99/98، وكان الهدف منها السعي لرفع مستوى الخطباء، والرقي بهم، ومساعدة المبتدئين منهم، وقد قامت مديرية الأوقاف في حينها بطباعة هذه المحاضرات وتوزيعها على الأئمة والخطباء.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن الكاتب هو إمام وخطيب مسجد دورا الكبير، وهو أحد الخطباء المشهورين، إذ قضى خمسا وثلاثين سنة في صعود المنابر في أكبر مساجد محافظة الخليل، وفي غيرها من المحافظات، وشارك في كبرى الاحتفالات والمهرجانات، في العديد من المناسبات الدينية، وغير الدينية، في الجامعات والمؤسسات، وخطب في عشرات الألوف من المستمعين، منها مهرجان بشائر النصر الذي أقامته كتلة التغيير والإصلاح قبل انتخابات 2006م بيومين، وقد حضره أكثر من خمسين ألف مستمع - كما قدرت وسائل الإعلام - وقد كانت مشاركته مرتجلة بكل ما في الكلمة من معنى، فلم يكن الكاتب مدرجا على قائمة المتحدثين، وقد طلب منه أن ينقذ الجمهور بعد فشل الكلمة الرئيسية التي كانت مسجلة مسبقا لأحد الأسرى، ولم يكن الصوت فيها مسموعا، فاقترح القائمون على المهرجان مخاطبة الجمهور لوقف حالة الملل ومنع الناس من المغادرة، وخطب بالفعل وبدون تحضير أو إعداد، وقد شهد القاصي والداني بجودة الإلقاء في تلك المشاركة، والتي ذكر فيها لأول مرة كلمة (تسونامي إسلامي) والتي أطلقت فيما بعد على نتائج انتخابات 2006م، التي فاز فيها الكاتب وحصل على أعلى الأصوات في الضفة الغربية، فالفضل لله أولا، ثم صعود المنابر، وما كان للكاتب أن يحصل على هذه النتيجة، وما كان بالإمكان حصد هذه الثقة لولا العوم في بحر هذا الفن، وصعود المنابر ومخاطبة الجماهير، في كل المناسبات، وفي كل الفرص المتاحة.

فهذه تجربة الكاتب يضعها بين يدي من أراد أن يستفيد منها من الخطباء، والمتحدثين الذين يريدون أن يخوضوا هذا المعترك، ويعوموا في هذا البحر، فهذه بعض الوسائل التي تعين على العوم وتمنع الغرق، وبالله التوفيق.

---

[1] البيان والتبيين للجاحظ

تمهيد

نشأة الخطابة

فن الخطابة قديم قدم الانسان، وتطور هذا الفن تبعا لحاجة الإنسان إلى البيان والتوضيح، فالخطابة هي الوسيلة المبكرة التي لجأ إليها الانسان عندما أخذ يعيش في مجموعات تحتاج بالضرورة إلى وسيلة للخطاب لإدارة شؤونها، وترتيب أمورها، وفض منازعاتها، ونقل الثقافات، وبيان الحقوق والواجبات المتعلقة بأفرادها, وفي الرد على المناوئين، وفي تواصل أولي الأمر مع الرعية، وفي نقل أوامر الملوك، وتعليماتهم للمرؤوسين والولاة والمساعدين، حيث لم تكن هناك وسائل أخرى كالكتابة، أو لندرة استعمالها، ومع تطور الوضع الإنساني وظهور وسائل أخرى للتخاطب لم يتراجع فن الخطابة، بل ازدادت الحاجة إليه، حيث تنوعت أغراض الخطابة، وتعددت مواضع استعمالاتها.

ومن المعلوم ان الأنبياء لم ينقطعوا عن البشرية، ولم بتوقف إرسالهم إلا بمبعث النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والذين بدأوا بآدم عليه السلام، ثم ابنه شيث الذي أنزل إليه خمسون كتابا، ثم توالى نزول الأنبياء من بعد ذلك، لقوله تعالى:

"وإن من أمة إلا خلا فيها نذير"[1]

وما من نبي إلا كان خطيبا في قومه، يبين لهم ما أرسل به إليهم، ويبلغهم رسالات ربهم، وينصح لهم، ويخبرهم، ويرشدهم، ويحملهم على طاعة الله، وينذرهم عصيانه ومخالفة أمره، وفي ذلك، قال الله تعالى: " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم"[2].

[1] سورة فاطر 24
[2] سورة إبراهيم 4

وقال تعالى: " وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين"[1].

وقال تعالى: "إن عليك إلا البلاغ "[2]

فوظيفة الأنبياء هي التبليغ والتوضيح والبيان، ويعتمد ذلك بالدرجة الأولى على مخاطبة المدعووين بطريقة إلقائية، تعتمد الاقناع والاستمالة، ولقد كان شعيب عليه السلام خطيب الأنبياء، كما قال الإمام الثوري.

وكان النبي صلى محمد الله عليه وسلم من أخطب الناس، فهو الذي أكرمه الله بالنبوة والرسالة، وأتاه جوامع الكلم التي لا يؤتاها إلا نبي مرسل، فهو أبلغ من خطب وأبين من قال وتكلم، وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده، كانوا من أخطب الناس وأقدرهم على البيان، ولقد برز العديد من الخطباء المشهورين في صدر الإسلام الذين ذاع صيتهم، وعلا نجمهم، حتى شدت إليهم الرحال، وضربت لهم أكباد الإبل، منهم:

زياد ابن أبيه، وواصل بن عطاء، وغيرهم.

ومن الولاة برز الحجاج بن يوسف الثقفي.

[1] سورة الأنعام 48
[2] سورة الشورى 48

أول من دون هذا العلم

أول من دون هذا العلم وكتب فيه، هم: اليونان في عصر بيركليس، حيث أعطى الناس هامشا موسعا من حرية الرأي، وحرية التعبير، فبرزت الخطابة بشكل ملحوظ، وكثر الخطباء في محيط من الاحترام، والإجلال، والتوقير، حتى ولي الخطباء أعلى المناصب وأرفعها، بل أصبح الخطيب هو الذي يقرر خوض الحرب، أو عقد السلم، وقد كان أرسطو أول من كتب في هذا الفن، فوضع كتابا أسماه – الخطابة – وضع فيه أصول هذا العلم، وضوابطه، وقواعده التي أخذت من ألسنة الخطباء المشهورين في زمانه، ومن خطبهم المشهورة، تماما كما أخذ علم النحو والصرف من ألسنة فصحاء العرب، الذين نطقوا بالعربية على الوجه الصحيح.

ولقد تطور هذا العلم وازدهر في عصر الممالك الاسلامية، وأصبح علما قائما بذاته، وألفت فيه المؤلفات في زمان بني عباس يوم كان الخليفة العباسي يعطي من يترجم كتابا الى العربية من اللغات الأخرى وزنه ذهبا، حيث ازدهر التأليف والكتابة في كل العلوم والفنون.

ومن أشهر ما كتب في علم البيان والخطابة في جزء منه هو كتاب البيان والتبيين، الذي كتبه الجاحظ، حيث تحدث فيه في علوم البيان، وعلى رأسها الخطابة والخطباء.

ولقد أصبح هذا الفن علما قائما بذاته يدرس في هذا الزمان في الجامعات والمعاهد العلمية، وله أهله المتخصصون من العلماء والدعاة.

أهمية علم الخطابة

علم الخطابة من أنفس العلوم، وأهمها، وأرفعها منزلة، وأكثرها تأثيرا على السامعين، ومن أكثر الوسائل تداولا حتى في عصر الحاسوب والانترنت، ومن أكثر الوسائل انتشارا، وأكثرها سهولة ويسرا، وأعمقها أثرا، وتأتي أهمية الخطابة من خلال قضايا عدة:-

1)- تأتي أهمية الخطابة من تعدد أغراضها في هذا الزمان، فلم تعد الخطابة مقصورة على لون من الألوان، أو غرض من الأغراض، أو موضوع من الموضوعات، بل تعددت أغراضها وكثرت ألوانها، ومن ألوان فن الخطابة وموضوعاتها ما يلي:

الخطب السياسية

وهي الخطب التي يلقيها القادة والمسؤولون وأمناء الأحزاب، والتي تلقى على منابر البرلمانات، ومجالس الشورى من قبل ممثلي الشعوب، وفي اللقاءات السياسية، وفي المناسبات القومية والوطنية، وفي الدعايات الانتخابية, وفي الأحداث الجسام، ومنها التي تلقى لدعم فكرة، أو خطة، أو التحذير منها، وفي خطب المساجلات بين الأحزاب المتنافسة.

ومنها الخطب الدينية

وهي التي تلقى في الجمع والأعياد، وفي يوم عرفة، وفي صلاة الكسوف، والخسوف، وفي الاستسقاء، وفي المناسبات الدينية، وفي المواعظ، وفي الزواج، وغيره، والخطب الدينية هي الأكثر انتشارا وشيوعا، والأكثر حضورا وتأثيرا في الجمهور،حتى أصبح هذا الفن يلتصق التصاقا وثيقا بالدين.

ومنها الخطب الاجتماعية

وهي التي تلقى في الأفراح، كالزواج، والتهاني، وعند قدوم غائب، وفي الأتراح عند موت قائد، أو تأبين مسئول، وغير ذلك.

ومنها الخطب القضائية

وهي التي يلقيها مدعو النيابة، ووكيل المتهمين، والقاضي، والمتهمون، والشهود في مجالس القضاء.

ومنها الخطب الإدارية

وهي التي يلقيها مدراء الدوائر على المرؤوسين، والعمال, وكذلك الخطب التي يلقيها أصحاب الشركات الكبرى على الموظفين، والمعنيين.

ومنها التعليمية والتربوية

وهي التي تلقى في المدارس، والجامعات، ودور العلم.

ومنها الخطب الاقتصادية

وهي التي تتعلق بالدعاية والإعلان، وتسويق البضاعة، وترويج السلع والمنتجات، التي باتت تنتشر انتشارا واسعا، وفي كل المعمورة.

هذه بعض الميادين التي تظهر فيها الخطابة، وهناك ميادين أخرى للخطابة ليس باليسير استقصاؤها.

2)- تأتي أهمية الخطابة من خلال حاجة الناس إليها كحاجتهم إلى الطعام والشراب، وحاجتهم إلى الكثير من العلوم الأخرى، فلا سبيل الى الاستغناء عنها، أو تحييدها، أو حتى التقليل منها، وأن الحاجة إليها تزداد مع كل تطور وتقدم.

3)- تأتي أهمية الخطابة من خلال اكتشاف المواهب، وإبراز القيادات، واستخراج الكنوز من النوابغ الذين يصعب اكتشافهم بغير هذا الفن، وهذا العلم، فالخطابة ميدان للتنافس، وحلبة لإبراز المواهب، والقدرات، والابداع, فالكثير من القادة

الموهوبين لم يبرزوا إلا من خلال هذا الفن، ولم ينفض عنهم الغبار لولا ولوجهم هذا الفن، وخوضهم في بحره المتلاطم.

4)- تأتي أهمية الخطابة من خلال تأثيرها في النفوس، فليس هناك وسيلة أكثر تأثيرا من الخطبة، وأكثر نفعا منها، فالخطيب المصقع يستطيع أن يفعل في الجمهور ما يعجز عنه غيره، بل إن بعض الخطباء يفعل ما تعجز عنه الجيوش الجرارة، وأن الأمة التي تحسن صنع الخطباء الأكفاء وإبراز المتحدثين القادرين، هي الأمة التي يسهل لها أن تنهض، وتتقدم، وتجاري الآخرين، وتنافس المبدعين، وهي الأمة التي تستطيع أن تعالج كل أمراضها، وأسقامها السلوكية، والاجتماعية، والتربوية، والصحية، بكل سهولة ويسر، فالخطيب يصل إلى القلوب التي لا يصل اليها المذياع، ولا تخترقها أجهزة التلفاز، وتعجز دونها الكتب والمجلات والجرائد وكل الوسائل الأخرى، خاصة في ظل ظاهرة هجر الكتاب، وقلة المطالعة وريادة المكتبات، وكل ما هو مقروء، بل إن الأمة في مثل هذه الوضعية تسمع أكثر بكثير مما تقرأ، وأكثر الكلام تأثيرا هي الخطب التي يلقيها المبدعون، الذين يملكون السيطرة على القلوب والأسماع، ويستحوذون على النفوس، وينالون اعجاب المستمعين.

فالخطيب الناجح هو: طبيب نفسي وروحي، وهو مرشد اجتماعي، وهو معلم بارع، وواعظ مؤثر، وهو والد حنون مخلص، وهو قائد مغوار يحسن قيادة النفوس وتوجيهها نحو الخير والصلاح، وهو ناصح أمين، وبحر زاخر، ونبع صاف يرده كل ظامئ، ويأتيه كل ملهوف، به يعرف الحلال من الحرام، وهو الذي يحتاج إليه الأنام حاجتهم للماء والطعام، ولا يستغني عنه الخواص، ولا العوام.

5)- وللخطابة عند المسلمين أهمية خاصة، فهي ضرورة ملحة، وحاجة ماسة، وفوق هذا فهي شعيرة من شعائر الاسلام، فهي فرض من فرائضه في بعض الأحيان، وسنه من سننه أحايين أخرى، فقد فرض الله تعالى على المسلمين صلاة

الجمعة، وجعل خطبة الجمعة جزءا منها، والله تعالى هو الذي دعا المسلمين أن يسعوا إلى صلاة الجمعة، فقال تعالى:

" يا أيها الذين أمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع "[1]

والمراد بذكر الله هنا: هو خطبة الجمعة عند جمهور العلماء، وفي حكم خطبة الجمعة ذكر ابن رشد في بداية المجتهد: (أن خطبة الجمعة شرط من شروط صحة الصلاة، وركن من أركانها، وقال: هذا رأي جمهور العلماء، بما فيهم المالكية، إلا ابن ماجشون)[2]

ومن ثم أمر المسلمون بالاستماع الى خطبة الجمعة، والتبكير إليها، وترك كل ما يشغل عنها، من قول، أو فعل، أو حركة، أو غيره، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال :- " من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفارا، والذي يقول له: أنصت لا جمعة له "[3].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يحضر الجمعة ثلاثة نفر :- فرجل حضرها يلغو فهو حظه منها، ورجل حضرها يدعو فهو رجل دعا الله ان شاء أعطاه، وان شاء منعه، ورجل حضرها بانصات وسكوت، ولم يتخط رقبة مسلم، ولم يؤذ أحدا، فهي كفارة الى الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام "

وذلك أن الله عز وجل يقول: " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها "[4]

---

[1] سورة الجمعة 9
[2] بداية المجتهد – **ج1 ص178**
[3] رواه الإمام أحمد
[4] رواه أحمد وأبو داود بإسناد جيد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب: أنصت، فقد لغوت "[1]

ومن مجموع هذه الأحاديث وغيرها، ذهب الجمهور الى حرمة الكلام أثناء الخطبة، ووجوب الإنصات إليها، لأن من شان ذلك أن يهيء للجمهور أن يستمع للخطيب، ويوفر للخطيب الجو الملائم، الذي يعينه على مخاطبة القلوب، وقرع الأسماع، دون شاغل أو مانع يمنع ذلك، بل ان الجو الهادىء الرتيب الساكن هو من مستلزمات نجاح الخطبة، وتحقيقها لأغراضها، من هنا حرم الاسلام كل ما من شأنه أن يعكر صفو الهدوء، والاستقرار اللازم لنجاح الخطبة.

ولقد عاب الله تعالى على المسلمين وهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لما تركوه قائما يخطب على المنبر يوم الجمعة لأجل تجارة حضرت الى المدينة المنورة، حيث لم يبق عنده صلى الله عليه وسلم سوى اثني عشر رجلا وسبع نساء، حتى قال صلى الله عليه وسلم :- " لو خرجوا كلهم لاشتعل المسجد عليهم نارا"[2].

إن فرضية الخطابة عند المسلمين في بعض الأحيان، ومشروعيتها في أحايين أخرى جعل لها منزلة خاصة، ومعنى خاصا، بخلاف بقية الأمم، والشعوب الأخرى التي لا تعدو أن تكون الخطبة عندهم حاجة ماسة، أو ضرورة ملحة، ولكن ليست جزءا من معتقداتهم وشعائرهم، فلا تحظى بالتقديس والإجلال، كما هو الحال عند المسلمين، وإذا كان أهل الكتاب يجتمعون في أعيادهم الاسبوعية والسنوية، فلأجل الصلاة والطقوس التي يؤدونها لا لأجل سماع الخطب التي إن حصلت لا تتجاوز الطقوس التي لا يعقلها غالبية الجمهور، بخلاف الخطب عند المسلمين التي تعنى بكل الأمور، وتعالج كل القضايا، أو هكذا يجب أن تكون.

[1] رواه الجماعة إلا ابن ماجة
[2] أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس

ولما كان الإسلام يمتاز بالشمول لكل نواحي الحياة، وفيه كل ما يعني المسلمين في دينهم ودنياهم، فإن ذلك يعطي الخطب الدينية كل معاني الشمول والإحاطة، بكل ما ينفع المسلم في حاضره ومستقبله، فالخطب الدينية بهذا المفهوم تشمل كل أنواع الخطب، وتعالج كل قضايا المسلمين من القضايا الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والسلوكية والتربوية الخ ...

كل ذلك يعطي الخطبة في الإسلام رونقا خاصا، ومنزلة خاصة، ترقى بها عن سائر الأمم والديانات، فالخطيب في الخطب الدينية يعالج كل القضايا بما يعطيها شيئا من الاحترام والاهتمام، لما للخطب الدينية من مكانة في نفوس المسلمين.

الموضوعات

***الفصل الأول :- الخطيب

وفيه مجموعة مباحث .

***الفصل الثاني :- الخطبة

وفيه مجموعة مباحث .

***الفصل الثالث :- الجمهور- المخطوب فيه –

وفيه مبحث واحد .

الفصل الأول

- الخطيب -

المبحث الاول :-

زاد الخطيب.

1- الاستعداد الفطري.

2- العلم والثقافة.

3- سلامة اللغة والقدرة على التعبير.

4- القدوة الحسنة.

5- الاهتمام بالهندام .

6- التدريب والترويض على فن الخطابة.

المبحث الثاني :-

أسباب ضعف الخطباء في هذا الزمان.

المبحث الثالث :-

كيفية النهوض بالخطابة والخطباء.

المبحث الأول :-

زاد الخطيب الناجح

كل صاحب فن وإبداع لا بد له من مواصفات خاصة، ووسائل ضرورية تمكنه من خوض غمار هذا الفن، وتعينه على النجاح فيه, فالمغنّي يحتاج إلى الصوت الرتيب الجميل الذي يمكنه من أداء مهمة الغناء، واستهواء المستمعين، والطبيب الذي يعالج الأبدان لا بد له من علم وخبرة ودربة، تعينه وتؤهله لمعالجة المرضى، والسائق الذي يقود الحافلة ويحمل الأرواح لا بد له من قدرة وتدريب وممارسة تعينه على مهمته، فإن فقد المغني صوته الجميل أو كان لا يملك صوتا جميلا، فسوف يفشل، ولن ينجح في مهمته، لفقده وسائل النجاح، والطبيب الذي يعالج الأبدان دون علم ومعرفة سيزيد معناة الناس، أو يقتلهم بدل علاجهم، والسائق بغير دربه لن يوصل المسافر إلى هدفه، بل قد يوصله إلى المشفى، أو إلى القبر، ومن لا يحسن العوم سيغرق مع أول دخوله الماء، ولما كانت الخطابة فنا وإبداعا، فلا بد لمن يخوض غمارها ويسبح في بحرها ويجري في ميادينها من مجموعة من الوسائل والمؤهلات التي تعينه على مهمته، وتعبد له طريق الوصول، وتفتح له آفاق العوم في بحار هذا الفن المتلاطم، ومن هذه الوسائل:-

أولا- الاستعداد الفطري والخلقي:-

الخطابة كلام، ووسيلة الكلام: هي اللسان، فمن بديهيات هذا العلم أن يكون الخطيب صحيح اللسان، قادرا على النطق لا يمنعه مانع من ذلك، فلا يصلح للخطابة أخرس أبكم لا يقوى على النطق، وكذلك كل إنسان لا يقوى على النطق ببعض الحروف، أو ينطق بها من غير مخارجها، أو على غير وجهها الصحيح، وهو ما سمّاه العلماء باللثغة، والتي تحصل في الغالب في أربعة أحرف وهي: -

السين - والقاف - واللام - والراء.

واللثغة في السين: أن ينطقها - ثاء - فاذا أراد الألثغ في حرف السين أن يقول - بسم الله قال: -

باثم الله.

واللثغة في القاف: أن ينطق بها الألثغ طاء - فان أراد أن يقول:- قال لي، قال:- طال لي.

واللثغة في اللام: أن ينطق بها الألثغ ياء - فاذا أراد ان يقول:- جمل ، قال: جمي.

أما اللثغة في الراء، فقد تعددت فيها الصور، وهي من أكثر الأحرف في لغة العرب التي يلثغ فيها الناطقون باللسان العربي، ولها عدة أوجه:

منها 1) منهم من يلفظ الراء: ياء، فإذا أراد أن يقول: عمرو، قال: عمي .

2) ومنهم من يلفظها: غينا، فيقول: عمغ.

3) ومنهم من ينطقها: ظاء، فيقول: عمظ.

4) ومنهم من ينطقها: ذالا، فيقول: عمذ.

وقيل أقبح نطق للراء أن تلفظ: ياء، ثم يليها ودونها في القبح أن تلفظ: ظاء، ثم ذالا، وأيسرها وأهونها أن تلفظ: غينا.

وزعم الجاحظ أن واصل بن عطاء كان يلثغ في الراء على وجه لا يمكن ترجمته الى أحرف العربية، أو قال: ليس لها صورة في الخط[1]، ومع ذلك كان واصل خطيبا مصقعا، ولكنه كان يتجنب حرف الراء، ويستبدل كل المفردات التي تدخلها الراء بمفرات أخرى، وهذا يصور سرعة البديهة عنده، وقوة الملكة في التعبير، وسعة الثقافة في اللغة، ومفرداتها.

[1] البيان والتبيين ج1ص21

وهناك من يلثغ في أكثر من حرف من هذه الحروف التي مر ذكرها، وهناك من يلثغ في أحرف أخرى، ولكن بصورة أقل.

ومن أصيب بهذه العاهة يصعب عليه أن يكون خطيبا، وإن كان بعض الخطباء يمكنه التغلب على هذا المرض في بعض الأحرف، إذا كان الخلل يسيرا كمن يلثغ بالراء: غينا، وليس كل الناس كواصل بن عطاء يعوضون هذا الخلل بسعة الاطلاع، وملكة اللغة.

وهناك مرض فطري أخر يصيب بعض الناس، وهو مرض التأتأة، ومرض الفأفأة، وسببه: تعتعة تصيب اللسان، قال الأصمعي : تعتعة اللسان في التاء: تسمى تمتمة، وصاحبها تمتام، وتعتعة اللسان في الفاء تسمى: فأفأة.

والتعتعة هي: الوقوف عند الحرف، وتكراره مرارا، وهناك من يتعتع في عدة أحرف أخرى، كالخاء، والصاد، واللام، وقد ظهر في هذا الزمان واستحدث مراكز تقوم بمعالجة هذا المرض، والتغلب عليه، خاصة عند صغار السن.

ومن الغريب أني أعرف أناسا يتأتئون في الكلام، ولا يتأتئون في الخطابة ولا في قراءة القرآن!

وخلاصة الأمر: أن أي خلل يصيب اللسان يمنع أو يعرقل القيام بفن الكلام، وفن الخطاب تبعا لشدة الإصابة بالمرض، أو قلته.

وهذا موسى عليه السلام كان في لسانه عجمة، أو عقدة تمنعه من القيام بواجب التبليغ عن الله تعالى على الوجه الأكمل، فسأل ربه تبارك وتعالى أن يذهب عنه هذه العجمة، وأن يحل عقدة من لسانه، حتى يفقه المدعوون قوله، قال تعالى:(واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) لأنه مبلغ عن الله تعالى، فلا بد من التمكن من آلة التبليغ، وهي اللسان السليم من كل العيوب، وقد استجاب الله له ذلك، فقال:(قد أوتيت سؤلك يا موسى) والراجح أن الله تعالى حل له عقدة، وليس كل العقد، وذلك

لأن موسى سأل ربه تعالى أن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام، لأنه أفصح لسانا من موسى، وأقدر على البيان منه، وليتسنى له القيام بالمهمة على الوجه الأكمل، فقال:(وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني) ففصاحة اللسان ضرورية لكل انسان، وهي أشد ضرورة لمن كانت صناعته الكلام، ووظيفته التبليغ، والسبب الآخر في هذا الترجيح هو: أن فرعون عاب على موسى ولمزه في عجزه عن البيان، فقال: (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين)[1]

وهناك أشخاص لا يعانون من شيء في النطق واللسان، لكنهم مصابون بمرض آخر لا يقل عن أمراض اللثغة والتعتعة، وهم العاجزون عن التعبير والبيان، فتجد أحدهم يتحدث في الموضوع أو في الفكرة التي يريد الحديث فيها، فيقول بلسانه ويحرك بعض جوارحه أو كلها، يده مع رأسه، وكل جسمه أحيانا، ولا يكاد يبين أو يوصل المعلومة المراد نقلها، وهذا نوع من العجز عن التعبير قد لا ينفع معه الترويض والتدريب والممارسة، ومن كان كذلك لا يصلح لهذا الفن.

وهناك أخرون تأخذهم الرهبة والخوف من مواجهة الجمهور، والحديث إليه، فالخطابة وصعود المنابر والمنصات، وقرع الأسماع، وامتلاك القلوب ليس بالأمر الهين أو اليسير، وليس كل الناس يملك الجرأة على ذلك، فقد قال أحد الخلفاء ولعله عبد الملك بن مروان: شيبني صعود المنابر.

بل إن الخليفة عثمان رضي الله عنه على علمه وجلالة قدره قد ارتج عليه بادئ الأمر لما ولي الخلافة، ولم يستطع أن يواصل خطبته.

فلا بد للخطيب الناجح أن يملك الجرأة والقدرة ورباطة الجأش، التي تعينه على مخاطبة الناس، والحديث إليهم، بل إن الجرأة على الحديث ومخاطبة الناس قد يغني

[1] سورة الزخرف آية

عن كثير العلم وسعة الاطلاع والثقافة، لكن العلم وإن كثر لا يغني عن الجرأة، فكم من عالم لا يشق له غبار، يكتب في كل علم وفن، لكنه يعجز أن يواجه الناس، أو يخاطب الجماهير، ولا يملك الجرأة على القيام بهذا الفن.

وإن كانت الجرأة أمر فطري عند الكثير من الناس، لكنها من القدرات التي تكتسب من خلال البيئة التي يعيشها الإنسان، خاصة البيئة التي يحترم فيها الإنسان، ويسمح فيها بحرية الرأي.

ويمكن اكتساب الجرأة من خلال التدريب، وكسر الحاجز بين الخطيب والجماهير، ومن خلال الترويض على مخاطبة الناس، والحديث إليهم، ويساعد في ذلك المناهج التربوية التي تعنى بفن التعبير والمخاطبة، وترويض الطلاب من نعومة أظفارهم على الوقوف بين يدي زملائهم، والحديث إليهم.

ثانيا - العلم:

وأعني بالعلم: كل علم يعين الخطيب على أداء مهمة التعبير والخطابة، فالخطيب الديني الذي يخطب في الجمع والأعياد والمناسبات الدينية، عليه أن يكون عالما في الأمور الشرعية مثقفا بالقدر الذي يعينه على أداء مهمته، والخطيب السياسي الذي يخطب في المحافل السياسية، وفي قضايا العامة، وفي المناسبات المرتبطة بذلك، عليه أن يكون مثقفا عالما بالقدر الذي يعينه على ذلك، وهكذا كل خطيب في فن من الفنون عليه أن يتعلم من هذا الفن بالقدر الكافي الذي يعينه على النجاح والتأثير، ولست أعني بالعلم الشرعي أن يكون الخطيب كالإمام الشافعي، أو كحجة الإسلام الغزالي، وكذلك في الفنون الأخرى، ولكن من يخطب في موضوع ما يجب أن يتسلح بالعلم الذي يجد فيه ما يقوله للجمهور، إذا وقف بين يديه، وأن يعلمهم ما لا يعلمه جلّهم، ويفيض عليهم بما يجهله معظمهم، فلا يمكن أن تحصل فائدة الخطبة وغرضها إذا كان جل الجمهور أكثر ثقافة وعلما من الخطيب.

وهناك علوم لا بد منها لكل خطيب مهما كان تخصصه، ومجاله، وميدانه، فالخطبة رسالة لها مضمون لا يؤديه من لا علم له، أو من جهل ما يعلمه العوام، لذا يجب تميز الخطباء عن العامة، بالعلم وسعة الاطلاع، وتنوع الثقافة، فإن علم الخطيب هو عدته في مواجهة الجمهور، وهو زاده في صعود المنابر واعتلاء المنصات، وهو وسيلته في التأثير في الناس، والدخول إلى قلوبهم، فالخطيب بحر لا ينضب، ونهر لا يتوقف عن العطاء والتدفق، يمد الناس بأسباب العلم والمعرفة اللازمة لاستمرار الحياة على الوجه الأفضل، ويفتح القلوب ويطرق الآذان، ويستنهض الهمم، ويجلوا الغبار عن العيون حتى تتضح الرؤية، ولا يملك ذلك من لا علم عنده، فان فاقد الشيء لا يعطيه، والأعمى لا يقود بصيرا.

ومن العلوم التي لا بد أن يبحر فيها الخطيب، هي علوم العصر التي تهم الناس، فيدعو الناس إلى نافعها ويحذرهم من ضارها، وأن يطلع على جديد العلوم والاكتشافات، حتى لا يظهر بمظهر المنعزل عن الجمهور، وكأنه يعيش في كوكب آخر.

ومن العلوم التي لا بد منها للخطيب، العلم والقدرة في استعمال الوسائل الحديثة، التي توصل إلى المعلومة بأيسر الطرق وأسرعها، كاستعمال الحاسوب، والانترنت والموسوعات العلمية، وكل الأجهزة التي تعين على المعرفة، وترفع من المستوى الثقافي للخطيب.

ومنها أيضا معرفة حال المخاطبين، وأعرافهم، وتقاليدهم، وميولهم، وانتماءاتهم، حتى يحسن التعامل معهم، ويعالج أمراضهم، ويحارب سلبياتهم، وحتى يعلم من أين تؤكل الكتف، وكيف يدخل إلى القلوب، ويقنع الناس، ويحقق الغرض المطلوب من الخطبة، فالخطيب طبيب لا يصل إلى العلاج الناجع دون

معرفة المريض، وحال المريض، ودون تشخيص المرض، والوقوف على أسبابه وتداعياته، للعمل على محاصرته، ومحاصرة آثاره، ثم استئصاله، لذلك بعث الله تعالى الرسل عليهم السلام في كل قوم من أنفسهم، حتى يكون على علم ودراية بهم وبأحوالهم، ومطلع على شؤونهم، ولا يتوفر ذلك في الغرباء، وفي ذلك قال تعالى:

"ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أني لكم نذير مبين "[1]

" وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله "[2]

" وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله "[3]

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله "[4]

هذه بعض العلوم التي يتزود بها الخطباء، وخير علم وأنفسه وأعظمه، وأجله هو العلم بالله تعالى، وبكتابه وبسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -، وقد قال - صلى الله عليه وسلم: " من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"[5]، وقال - صلى الله عليه وسلم - :خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا"[6].

ثالثا - اللغة :

إذا قلنا: إن اللسان آلة الخطاب، فإن اللغة هي الوسيلة لكل خطاب، وسلامة اللغة لا تقل عن سلامة اللسان، وعلى قدر ملكة الخطيب اللغوية وعلمه وإحاطته بها يتوقف قدرته على الخطابة، ونجاحه وتأثيره في الجمهور، والمراد بعلم اللغة، هو: أن يكون ذا حظ من النحو والصرف، والمفردات، والتراكيب، والمعاني التي تسهل له مهمة الخطابة الجليلة، وكذلك القدرة على التعبير بلغة سهلة مفهومة توصل

[1] سورة هود 25
[2] سورة هود 50
[3] سورة هود 61
[4] سورة هود 84
[5] رواه البخاري ومسلم
[6] رواه البخاري ومسلم

الفكرة، وتغرس المعلومة، وتقنع الجمهور بقوة الحجة، ورصانة الألفاظ، وجزالة العبارات.

ولا نعني بعلم اللغة: أن يكون الخطيب كالخليل ابن أحمد، أو الكسائي، أو سيبويه، أو المبرد، ولكن لا بد لمن يتحدث بلغة أن يعرف متى ترفع الكلمات، ومتى تنصب، ومتى تجر، وكل العلامات الدالة على ذلك، وأن يعلم ما يصرف مما ليس يصرف، وأن يكون صاحب علم في الصرف والاشتقاق، لأن من شأن ذلك أن يثري ثقافة الخطيب، ويحقق له النجاح المنشود، وأن يكون واسع الاطلاع في مفردات اللغة.

وعلى الخطيب أن يتزود بالشعر، وخاصة شعر الحكمة حتى يزين به خطبه، وأن يكثر من الأمثال والنثر المقتبس، الذي يدعم حجته ويقوي منطقه، ويعينه على إخراج الخطبة بثوب قشيب جميل، لتكون أقرب إلى النفوس، وأسرع الى القلوب.

إن آفة الخطابة في هذا الزمان هي ضعف ملكة اللغة عند غالبية الخطباء إلا من رحم الله، فالكثير منهم لا يعرف متى وكيف ترفع الكلمة؟ ولا متى تنصب أو تجر؟ وما يقال في الأسماء يقال في الأفعال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكل ذلك ينعكس على أداء الخطيب، وقدرته على التأثير، فجل الناس في هذا الزمان مثقفون ويقفون على كل خطأ في اللغة أو لحن يقع فيه الخطيب، بل تسمع بعض الناس يصححون للخطيب عند كل لحن وخطأ، فاللغة وعلومها زاد أساسي للخطباء، ومن لا يعرف الأساس ولا يملكه، لا يقوى على البناء.

رابعا ـ يشترط في الخطيب الناجح أن يكون مثلا طيبا وأسوه حسنة لجمهور المخاطبين، لأن ذلك أدعى للاستجابة له، وأقوى للتأثير في نفوس المخاطبين، وإذا كان غرض الخطابة هو التأثير والإقناع، ثم الإستمالة للفكرة التي يدعو إليها

الخطيب، فهذا يفرض أن تكون الخطابة مقرونة بالتزام الخطيب وحسن سيرته، وأعني بالقدوة الحسنة والمثال الجيد والأعلى، ما يلي:

أن يكون ماضي الخطيب وحاضره نظيفا، وليس فيه ما يقدح في شخص الخطيب، ويمنع الاستماع إليه، فمن تصدّر صعود المنابر ومخاطبة الجماهير والتأثير فيهم، فهيهات أن يسمع له إن كان في ماضيه أو سلوكه الحاضر ما يشينه! ويسيء إليه! فإن الناس لا ترحم حتى وإن تاب الإنسان واستقام وغير وبدل، فهيهات أن ينسى الناس، وهيهات أن يصفحوا أويغفروا، من هنا اختار الله تعالى الأنبياء من خير خلقه، وعصمهم عن الكبائر قبل البعثة، وعن الصغائر والكبائر بعدها، حتى لا يجد المدعوون حجة أو مبررا لرفض دعوتهم، وعدم الاستجابة لهم، وهذا موسى عليه السلام لم تشفع له الآيات التي زود بها في مواجهة فرعون الذي بادره يذكره بالماضي:

" قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين"[1] وإنما أراد فرعون أن يذكر موسى بقتل القبطي قبل أن يفر الى مدين، وهكذا كل مخاطب من الجمهور، سيبحث في ماضي الخطيب، وسيقرأ سجله وسيرته الشخصية، ولسنا نريد أن نغلق الطريق أمام التائبين الذين أشرقت قلوبهم بنور الله، بعد سنوات من الانحراف والضلال، فأمام هؤلاء أن يصلحوا حاضرهم وأن يصبحوا قدوة حسنة، ومثلا يحتذى.

وأعني بالقدوة الحسنة: أن يكون الخطيب ملتزما بما يدعو إليه، ولا يأمر الناس بشيء لا يأتيه، ولا ينهاهم عن شيء ثم يخالفهم إليه، لذلك كان الفاروق رضي الله عنه يعرض خطبته على أهله قبل أن يلقيها على الناس، فإن وجد منهم قدرة واستعدادا على الالتزام بها ألقاها على الناس، هكذا فهم الفاروق فلسفة الخطبة وموضعها من الخطيب.

[1] سورة الشعراء 18-19

فالخطيب الذي لا يؤثر في نفسه ومحيطه ويعجز عن اقناع أهله بالخطبة وموضوع الخطبة، هو أعجز عن اقناع الآخرين، بل ان التزامه والتزام أهله هوالمدخل للنجاح والوصول الى قلوب الناس، والتأثير فيهم، ولقد كان خطيب الأنبياء شعيب - عليه السلام- يتعهد لقومه أنه لن يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه، أي لا يريد أن يفعل ما ينهى قومه عن فعله.

اذ قال الله تعالى على لسان شعيب:

" وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله "[1] ولقد عاب الله تعالى على المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون، فقال عز من قائل:

" يا أيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"[2]

وقال تعالى:

" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"[3].

أخرج الثعلبي والواحدي عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة كان الرجل منهم يقول لصهره ولقرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين :- "أثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل، يعني محمد صلى الله عليه وسلم، فكانوا يأمرون الناس بذلك، ولا يفعلونه"[4]

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم في الحلية، وا بن حيان، وابن مردويه، والبيهقي، عن أنس قال:

---

[1] سورة هود 88
[2] سورة الصف 2-3
[3] سورة البقرة 44
[4] " فتح القدير ج1ص103

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفافهم بمقاريض من نار، كلما قرضت رجعت ، فقلت لجبريل: من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء خطباء من أمتك كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون"[1]

وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد، قال : - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :- يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه - أي أمعاء بطنه - فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيطوف به أهل النار، فيقولون:- يا فلان مالك؟ ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: - كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه "[2]

وأخرج الطبراني، والخطيب في الاقتضاء والأصبهاني في الترغيب، بسند جيد عن جندب بن عبد الله، قال:- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :- " مثل العالم الذي يعلم الناس الخير، ولا يعمل به، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه "[3]

وأخرج ابن مردويه، و البيهقي في شعب الإيمان، وابن عساكر عن ابن عباس أنه جاءه رجل، فقال:- يا ابن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال : أو بلغت ذلك؟ قال:- أرجو، قال: فان لم تخش ان تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله، فافعل، قال:- وما هن؟ قال:- قوله تعالى " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " أحكمت هذه الآية ، قال:- لا، قال:- فالحرف الثاني، قال:- قوله تعالى " لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " أحكمت هذه الآية ؟

[1] رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وهو حديث صحيح كما قال الألباني.
[2] رواه البخاري ومسلم
[3] حديث صحيح ، انظر صحيح الترغيب رقم 126، وصحيح الجامع رقم 5831.

قال:- لا ، قال:- فالحرف الثالث، قال : هو قول العبد الصالح شعيب " وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه " أحكمت هذه الآية ؟ قال :- لا ، قال :- فابدأ بنفسك!

إن الكثير من الخطباء الذين انتحلوا مهنة الخطابة للاسترزاق، وطلبا للمعاش والتكسب، وليس لغرض آخر، فهم أو الكثير منهم سنة سيئة للمدعوين، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما ينهون عنه - إلا من رحم الله عز وجل -.

خامسا- الثقة بالنفس والاعتداد بها وقوة شخصية الخطيب، عامل مهم من عوامل نجاحه، فالنفس المهزومة من داخلها، لا تنصر فكرة، ولا تحرك أمة، وإن من بديهيات الثقة بالنفس أن يؤمن الخطيب بما يدعو إليه الناس، وأن يكون مقتنعا به، يعمل من أجله، ويحيى له وبه، فالفكرة التي يضحي من أجلها، وينتصر لها هي الفكرة التي يكتب لها أن تعيش، وتحيى وتنتشر، ولا يكون ذلك إلا بالنفوس الواثقة المطمئنة، والهمم العالية التي تؤثر ولا تتأثر، تقود ولا تنقاد، ومن أعطي قوة الشخصية، واستكمل أسباب النجاح، أمكنه أن يقود المخاطبين، وأن يحملهم إلى كل خير ومنفعة، ومن ضعفت شخصيته، واهتزت ثقته بنفسه، فهو أعجز عن التأثير في الأخرين، وكان الفاروق رضي الله عنه يقول :- " اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة "[1] .

سادسا - الاهتمام بالهندام والمظهر الخارجي بشكل عام :-

ان الخطيب الذي يقف بين يدي الناس، ويأمرهم وينهاهم و يرشدهم، عليه أن يهتم بنفسه، وثوبه ومظهره، حتى يسمع، ويطاع ويحترم، إذا حضر أو غاب، لأن من شأن ذلك أن يعين على انجاح الخطيب، وتحصيل الغرض من الخطابة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس جبة خاصة عند مقابلة الوفود، وعند

[1] السياسة الشرعية لابن تنمية ص9 1

الخروج إلى الناس، وكان يقول لأصحابه :- "أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة بين الأمم "[1]

وفي صحيح مسلم " ان الله جميل يحب الجمال " وعن ابن سلام رضي الله عنه أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة على المنبر، يقول: " ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجعة سوى ثوبي مهنته"[2]

اذا كان هذا في حق المصلي الذي جاء يستمع للجمعة، فمن باب أولى أن يكون هذا في حق الخطيب الذي يقف بين يدي الناس، ويتحدث إليهم، ويدعوهم ويرشدهم.

إن بعضا من خطباء المسلمين في هذا الزمان لا يولون أي اهتمام بالهندام، والمظهر الخارجي، وان بعضا من هؤلاء مادة للسخرية والتندر بين جمهور المخاطبين، فأي نجاح يمكن أن يحققه خطيب في موقع السخرية والاستهزاء، وإن بعضهم يزعم أنه يلبس على السنة وكما كان يلبس النبي - صلى لله عليه وسلم - !! فمتى كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يرتدي ثوبا طويلا وفوقه ثان أقصر منه، وثالث هو دون الاثنين، هكذا بعضها فوق بعض باسم السنة، وهو أبعد ما يكون عن السنة.

إن الإسلام لم يفرض على المسلمين نوعا من الألبسة لا يجوز غيرها، بل ان النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يلبس ما كان يلبسه قومه قبل الاسلام، ومع بداية التنزيل أمره الله تعالى بتطهير الثوب، وليس بتغييره، فقال: " وثيابك فطهر"[3] لكن الاسلام وضع ضوابط وشروطا للألبسة حتى تكون مشروعة، كأن تكون ساترة فضفاضة لا تشف، ونهى عن بعض الألوان، ونهى أن تطول عن الكعب، ونهى

[1] أخرجه أحمد والحاكم وهو حديث صحيح ،
[2] رواه أبو داود وابن ماجه
[3] سورة المدثر 4

عن التشبه بالكفار، وعن تشبه الرجال بالنساء، أو النساء بالرجال، وأجاز الإسلام ما سوى ذلك.

بل إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما انطلقوا الى فتح فارس والشام، وجدوا عندهم ألبسة لم تكن معروفة عند العرب، فلم يترددوا في لبسها لما وجدوها لا تتعارض مع قواعد الملة، فلو كان منصوصا على نوع من الثياب لما جاز لهم أن يلبسوا غيرها، ولكانوا أحق الناس بالالتزام بالنص، لكن ذلك لم يحدث، ولقد تحدث الإمام ابن تتمية في ذلك وخلص إلى القول: إن الإسلام وضع أسسا وقواعد للباس، ولم يفرض نوعا خاصا منه، فالذين يريدون اليوم ان يلبسوا من الثياب ما كان يلبسه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه بحجة أنه مشروع وغيره ليس كذلك، فلماذا لا يركبون ما كان يركبه - صلى الله عليه وسلم - ويستعملون ما كان يستعمله في حروبه من الوسائل، وكل ما استعمله في حله وترحاله.

والخطيب ليس مسؤولا إن لم يكن جميلا وسيما، لكنه مسئول عن هندامه ومظهره الذي يستطيع أن يحسنه ويرتبه، وقيل: إن نعمان بن المنذر لما رأى حمزة بن ضمرة، وكان دميما، قال له :" تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فأجابه ضمرة:- إن الرجال لا تكال بالمكيال، وإنما المرء بأصغريه، قلبه ولسانه "

وإن كان وسامة الرجل جزءا من شخصيته، وسببا من أسباب نجاحه، فهناك من أصحاب العقول، وقوة الشخصية ما يستطيع بعلمه وفكره وجزالة ألفاظه، وحسن أدائه وقوة منطقه، أن يعوض نقص هيئته، ودمامة منظره.

ويستحسن في الخطيب أن يكون نظيفا طيبا متطيبا، كما كان يفعل الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .

ومن أقوى أسباب نجاح الخطيب: أن يحترم الخطيب مستمعيه، وأن يحترم مشاعرهم، ويوقر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويخفض جناحه للناس، حتى تسلس له القلوب، ويملك زمام النفوس، قال الشاعر :-

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما استعبد الإنسان إحسان

فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وأكرمها، واهتم بها، فإن الحب مدخل النفوس ومفتاح القلوب، وصدق الله العظيم " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك "[1].

[1] سورة آل عمران159

المبحث الثاني:-

أسباب ضعف الخطباء في هذا الزمان

ظاهرة ضعف الخطباء في هذا الزمن وعجزهم عن مواكبة التطور، والنهضة العلمية، والثورة الإعلامية، والصحوة الدينية العارمة التي يشهدها العالم، وبالأخص المد الديني المبارك الذي بدأ كالفيضان في كل العالم العربي والإسلامي، هذا الوضع الذي يفرض على المعنيين أن يتداركوا هذا الضعف، وأن يعالجوا هذا الخلل، وأن يعوضوا النقص الناشئ عنه، وأن يضعوا الخطط اللازمة لوقف حالة التدهور والتراجع، ومحاولة النهوض بهذا الفن الحيوي، ورفع مستوى الخطباء والعمل على إعداد الخطباء الأكفاء القادرين على التأثير والتغيير، والنهوض بواقع الناس، الذين باتوا تربة خصبة، وبات لديهم الاستعداد للتلقي، إن استهداف المد الديني، وتكالب الجاهلية وتعاونها على كل ما هو ديني في هذا الزمان، يفرض على خطباء الأمة أن يكونوا على مستوى التحدي، وعلى قدر المهمة، وأن يقودوا الباخرة في هذا البحر المتلاطم إلى بر الأمان.

ويمكن إرجاع أسباب ضعف الخطيب للآتي :-

<u>أولا -</u> ظاهرة ضعف التعليم الشرعي في كل مراحل التدريس:-

في المدرسة لم تعد حصص التربية الاسلامية تزيد عن حظ مادة الفن أو مادة الرياضة، أو حتى مادة الموسيقى، والذي انعكس على الطالب بشكل واضح، وتخرج الطلاب من الثانوية العامة بالقليل من العلم الشرعي، لذلك تأسس الطلبة على حالة من الضعف في الثقافة الشرعية والعلم الشرعي، بل إن العلم الشرعي والتربية الدينية باتت من العلوم الاختيارية في الثانوية العامة، يضاف إلى ذلك إسناد تدريس التربية الدينية لبعض المدرسين الذين لا صلة لهم بالعلم الشرعي، مما ضاعف المشكلة، وأن الكثير من المدارس تتعامل بحسن نية أو بسوء نية مع التربية

الاسلامية على أنها تكملة نصاب، وتكملة عدد، لذلك يسهل أن تسند مادة التربية الإسلامية لمدرس الرياضة، أو الفن، أو العلوم الأخرى، لإكمال نصابه من الحصص، ولكن لا تسند أيا من المواد الأخرى لغير المتخصصين.

وما يقال في قلة عدد الحصص واسنادها لغير المتخصصين هو: إن العلم في مدارسنا وحتى جامعاتنا لا زال يعتمد على التلقين، فمهمة الطالب أن يتلقى فقط من أستاذه ومعلمه، وأن يأخذ لا أن يعطي، ولم تتح الفرص للطلاب حتى يقفوا بين يدي زملائهم للإلقاء، ولم يروض الطالب على ذلك حتى يكسب الجرأة والخبرة والقدرة على المواجهة، والوقوف للحديث في جمع من الناس، وان كان هناك بعض المحاولات في العديد من المدارس في السنوات الأخيرة التي تعطي للطالب فرصة للالقاء أمام الطلاب في طابور الصباح، لكنها مقصورة على عدد محدود من الطلاب من جهة، وهي غير كافية من جهة أخرى، وما يقال في المدرسة، يقال في جامعاتنا التي لا تزال تعتمد التلقين في تعليم الطالب، الذي يدخل الجامعة ويتخرج منها دون أن يقف يوما بين زملائه في قاعة المحاضرة، ليكسر حاجز الخوف الذي بينه وبين زملائه، فلم يعد الطالب سوى متلقي يتعلم ويدرس ويحفظ فقط من أجل العلامة، ومن أجل النجاح، ثم الشهادة في نهاية المطاف، وليس لذات العلم، وهي ظاهرة عامة انعكست على طلاب العلم الشرعي وغيره من العلوم الأخرى.

ثانيا:- نوعية الطلبة الذين يلتحقون بكليات العلم الشرعي، وهم في الغالب من ضعاف الطلاب، والعديد منهم قد التحق بالعلم الشرعي لأنهم لم يجدوا فرصا في دراسة العلوم والفنون الأخرى، حيث يقبل الطلبة المتفوقون والمجتهدون وأصحاب التحصيل العالي على دراسة الهندسة والطب وغيرها من المواد، التي تفتح لهم فرص العمل وأسباب الرزق، بالإضافة للمكانة الاجتماعية التي يحظى بها هؤلاء، ولعل السبب في هذه الظاهرة وهي إقبال ضعاف الطلاب على العلم الشرعي مع وجود بعض الاستثناءات، هو ما يلي:-

1) وجود فائض في الخريجين في العلم الشرعي الذين لا يجدون فرص عمل، بسبب تقليل حصص التربية الدينية من جهة، أو اسناد تدريسها لغير خريجي العلم الشرعي، وهي سياسة ممنهجة وضع أساسها المستعمر، ولا تزال تطبق على أبناء المسلمين في هذه الديار.

2) ان موظفي الأوقاف هم في الغالب من دارسي العلم الشرعي هم من أقل الموظفين مرتبات وحقوق بين جميع الموظفين في الوزارات الأخرى، فلم يطبق قانون الخدمة المدني الفلسطيني على موظفي الأوقاف الا بعد سنوات من تطبيقه على الموظفين في القطاعات الأخرى، ولم يطبق بشكل كامل الى هذا اليوم، وهناك تخصيص علاوات وامتيازات لموظفي القطاعات الأخرى، وحرمان موظفي الأوقاف منها، لذلك كان ولا يزال مرتب موظف الأوقاف هو الأقل والأسوأ من بين كل الموظفين، بل إن مرتب موظف يعمل في الأجهزة الأمنية لا يحمل أي مؤهل هو ضعف موظف الأوقاف المؤهل، وهناك من موظفي ومنتسبي الأجهزة الأمنية من يتقاضى أربعة أضعاف موظف الأوقاف، رغم تساويهم في التحصيل العلمي.

يضاف إلى ذلك حرمان موظف الأوقاف من الامتيازات والعلاوات والدرجات التي هي حق لكل موظف، فلقد كنت أحد موظفي الأوقاف ودخلت الدرجة الرابعة في العام 1991م، وكنت أحصل على درجة كل ثلاث سنوات، ولما تم تحويل قطاع الأوقاف للسلطة الفلسطينية لم أحصل على الدرجة الثالثة إلا في العام 2004م أي بعد 13 عاما، ففي أي بلد في العالم وفي أي قانون يحصل هذا الأمر الا عندنا !! وليتني لم أحصل على تلك الدرجة، فقد تراجع مرتبي 15% عما كان عليه، ولما سألنا المسؤولين عن ذلك، والذين تسلقوا الى المسؤولية في عتمة الليل، قالوا من باب السخرية: إن العلاوة في الدرجات لموظف الأوقاف تكون بعد الموت، وكذلك كل الحقوق والامتيازات.

لما كنا في الدراسات العليا كان الطلبة الأخرون والموظفون الذين يدرسون معنا من القطاعات الأخرى، يدرسون على حساب وزاراتهم الا موظفي الأوقاف، فقال أحد الأخوة: سأراجع المسئولين عن ذلك! ألسنا نخضع لقانون واحد؟ فلماذا لا ندرس على حساب وزارة الأوقاف؟ فنهيته عن ذلك، لكنه أصر وذهب الى أحد المسؤولين في بيته! فلما قرع باب البيت خرج اليه المسؤول، وقال:- ماذا تريد ؟ فذكر له حاجته، وطالبه بالانفاق على موظفي الأوقاف في الدراسات العليا أسوة ببقية الموظفين، فقال له المسئول:- تريدون منا أيها المشايخ أن ننفق عليكم في الدراسات العليا؟ وأن نمنحكم شهادات؟ والله لو استطعنا أن نسحب شهادتكم ونجردكم منها ما ترددنا لحظة.

فلا تستغرب أن تجد في البلد الواحد عشرات المساجد ليس فيها أي موظف لا إمام ولا مؤذن، وفي قرية مجاورة اثنا عشر مسجدا ليس في القرية إلا مؤذن واحد، وحجة المسئولين الوضع المالي! والعجز في الموازنة، ولكن لو أحصيت المندوبين في المسجد الواحد الذين يرقبون حركة المصلين، لوجدتهم بالعشرات! فناك موازنة لمن يتتبع عورات المسلمين، ويكتب التقارير في أشرف الناس!! والتي تصل في النهاية للاحتلال، وليس هناك موازنة للأئمة وموظفي المساجد، بل هي سياسة متعمدة لتفريغ بيوت الله، من الموظفين وبالتالي من المصلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رغم كثرة الخريجين ووجود فائض في حملة الشهادات الشرعية، فإن عدد المساجد الخالية من الأئمة المؤهلين في عام 2006 م عند استلام الحكومة الفلسطينية العاشرة كان 2500 مسجد - الفان وخمسمائة مسجد، بينما كان عدد الموظفين في قطاع الأمن 85 ألف منتسب بعضهم ليس له عمل سوى أنه يتقاضى مرتبا من دم الشعب الفلسطيني على رأس كل شهر.

ثالثا :- عامل مهم من عوامل ضعف الخطباء وتراجع الخطب: هو حالة القمع التي يعيشها الخطباء وغير الخطباء، وبالأخص الخطباء الأكفاء الذين يقومون بواجبهم في النقد البناء الهادف، والذين يتحدثون في قضايا الناس وهمومهم، ويحذرون من المخاطر التي تهدد حاضر الناس ومستقبلهم، فكثيرا ما يتعرض هؤلاء للفصل أو الطرد أو الملاحقة، والتضييق في مرتبهم ومصدر رزقهم، أو ينقلون إلى مساجد صغيرة بعيدة عن الجمهور لمنعهم من التأثير في الناس، حتى يتقدم مكانهم الضعفاء الذين يحسنون فن التزلف والنفاق، ويكيلون صاعات المدح والثناء للطواغيت ويدعون للظالمين بالرأي السديد، والعمر المديد، ويتعامون عن السلطان وجرائمه ومفاسده ومفاسد جلاوزته، هذا العامل من أقوى العوامل التي أدت الى تدهور حالة الخطباء والخطابة، والتي فرضت حالة من تكميم الأفواه ومصادرة الحريات، مما جعل الخطباء ينؤون عن القضايا الحساسة والهامة التي تمس حياة الناس وواقعهم، فأصبحوا يتحدثون في أمور لا صلة لها بالناس، أو أنهم منشغلون بالأقل أهمية عن المهم، وبالمفضول عن الفاضل، وبالقشور عن الجواهر.

إن هذا الفن لا ينتشر ولا يزدهر الا في ظل اطلاق الحريات العامة وحرية التعبير، في مجتمع يحترم الكلمة ويحترم الانسان، ويهيء كل أسباب التنافس على حلبة هذا الفن.

رابعا - ضعف الملكة اللغوية عند الخطباء:-

ضعف ملكة اللغة ظاهرة عامة عند الخطباء، وغير الخطباء من المثقفين والدارسين، والذي ينعكس بدوره على كل القطاعات بالأخص الخطباء، لأن اللغة هي زادهم في مواجهة الجمهور، بخلاف الطبيب والمهندس أو حتى المدرس الذي يتحدث بالعامية في كثير من الأحيان، فكلما ملك الخطيب ناصية اللغة كلما كان أقدر على تحقيق الغرض المطلوب، والوصول إلى هدفه في قرع الآذان وفتح القلوب، وضعف لغة الخطيب يعني ضعفه وضعف تأثيره في المستمعين.

خامسا:- الخطباء هم شريحة من شرائح المجتمع، ولهم ميول سياسية، وحزبية، أو مذهبية، أو فكرية، وهذا العامل ينعكس بدوره على الخطباء، ولقد استغل المسئولون هذا التباين بين الخطباء فعملوا على تقريب من يخدم سياستهم، أو لا يتعرض لهم، ولا يذكر مفاسدهم فقربوا هؤلاء واستبعدوا الأخرين، ففتحوا فرص العمل لهؤلاء وأغلقوا الطريق أمام الآخرين، لقد رأينا في السنوات الأخيرة ظاهرة السلفيين الذين بدأوا يتسلقون المنابر حتى باتت الخطابة في المساجد الكبرى حكرا عليهم، وكثر تواجدهم وتوظيفهم في المساجد كثرة ملحوظة، وهم قوم يعيشون في غير زمانهم يقدسون الطواغيت، ويدعون الناس لطاعتهم، لأنهم أولو الأمر الذين يجب طاعتهم، ويدعون لهم على المنابر، ويعظمونهم ويدعون الناس إلى نصرتهم، ومؤازرتهم، ويهاجمون من ناوأهم أو أنكر عليهم، حتى بات هؤلاء أبواقا للنظم الفاسدة، ومطية كل راكب، وليست هذه الظاهرة على مستوى هذا البلد، بل تنتشر في دول الجوار، وفي طول العالم الإسلامي وعرضه، مع الفارق، فهؤلاء اذا تحدثوا للناس في قضايا الدين فهم أبعد الناس عن الواقع، وأجهل الناس بالمخاطر التي تهدد الأمة، وجلّ اهتمامهم بالبدع الشكلية المتعلقة بالمسابح، وطول الثوب وعرضه، وارتفاع المقابر، ولبس البنطال والمصافحة بعد الصلاة، ويتعامون عن المنكرات التي يمارسها المفسدون من المسئولين وأولي الأمر كما يصفونهم، فهم يرون القبر الذي يرتفع بضعة سنتمترات عن الأرض، ولا يرون مهرجانات الميوعة والخلاعة والرقص التي تقام في عرض البلاد وطولها، يرون طول المنابر وارتفاعها ويرون من يلبس البنطال ولا يرون النهود العارية والسيقان المكشوفة، والنحور الفاضحة، التي تزخر بها مهرجانات الظلمة وقيادات السوء، يرون الطاغية وهو يؤدي طقوس الجمعة، ولا يرونه على منابر الضلال، وهو يلمز أهل الصلاح والتقوى، ولا حول ولا قوة الا بالله، هل هذا هو دين السلف، وفهم السلف لهذا الدين، فلقد كان أحدهم يقف للفاروق اذا رأى ما يعتقده خطأ، فيقول: لا سمعا ولا طاعة!!!

سادسا:- حالة العزلة والغربة التي يعيشها بعض الخطباء، والتي تنعكس على أدائهم ودورهم الخطابي، هذه العزلة التي أضعفت قدرتهم على الأخذ بزمام الأمور، ومعالجة الأمراض، ومواجهة المخاطر، لأن الذي يخاطب الجمهور يجب أن يعي ويطلع على حاجاته، حتى يقول ما يجب أن يقال، فالخطيب للناس ومع الناس يشاركهم أفراحهم، وأتراحهم، ومناسباتهم، فإذا تحدث فيهم لم يبتعد عن واقعهم، ولن يبتعد عن الامور التي تمس حاضرهم، وتفيدهم في مستقبلهم .

سابعا:- ضعف ثقافة الخطيب العامة خاصة الثقافة العصرية، والسبب في ذلك قلة المطالعة، وهجر الكتاب، فنحن أمة لا تقأ ولا تحب القراءة، وحسب آخر الدراسات والإحصاءات التي أجراها العديد من المؤسسات: فإن الشعوب العربية تحتل آخر مرتبة بين الشعوب في معدل قراءة الفرد سنويا، ومن هذه الدراسات ما قامت به لجنة تتابع شئون النشر في مصر، التي خلصت إلى أن متوسط قراءة الفرد العربي ربع صفحة في السنة، وأن معدل قراءة الفرد العربي لا تتجاوز ست دقائق في السنة!!! بينما معدل قراءة الفرد الأوروبي 200 ساعة في السنة، كم هو محزن أن يكون هذا حال الأمة التي أكرمها الله بالإسلام، وأنزله بلغتها، وفوق هذا أن أول آية نزلت على نبيها(اقرأ باسم ربك) ثم (اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم)

ثم ضحالة معرفتهم وعلمهم بالأحداث الجسام التي تدور في العالم من حولهم، بالأخص في عالمنا العربي والإسلامي، وكذلك ضعف قدرة الخطباء على استعمال الوسائل التعليمية الحديثة، التي تساعد على المعرفة بأيسر الطرق وأقربها، وأن بعض الخطباء يهملون هذا الجانب وينشغلون عنه بأمور أخرى، ومن هذه الوسائل الحاسوب والانترنت والموسوعات العلمية والفكرية.

ثامنا:- إسناد مهمة الخطابة لأنصاف المتعلمين من قبل الكثيرمن أنظمة العالم الثالث الذي نحن جزء منه لتحقيق أغراض كثيرة، منها سياسة التجهيل التي تتبعها هذه الأنظمة في حق الشعوب، حتى يضمن لهذه الأنظمة بقاء الهيمنة على تلك الشعوب، ومنها منع التعرض لهذه الأنظمة ونقدها وكشف واقعها الفاسد وجرائمها على كل الأصعدة، ومنها محاولة إيجاد أبواق للأنظمة الفاسدة في داخل المساجد وعلى كل المنابر المهمة والحساسة، حتى أصبح المعتبر في كثير من البلدان ليس المؤهل والعلم والقدرة على هذا الفن، بل المعتبر هو القرب أو البعد من النظام وزلم النظام، فأسندت هذه المهمة الجليلة في بعض الأحايين للمشوهين العجزة لحرمان الأمة من فضل هذه المهنة، وفضل القادرين عليها، والذي كان يحصل في الغالب في زمان الاستعمار الذي كان يعمل من أجل الهدم، لا من أجل البناء، ومن أجل التجهيل، وليس التعليم، ثم محاربة العلم بأنصاف الخطباء، واستمرت الأنظمة القمعية على نفس المنوال وبنفس السياسة.

إن الاستخفاف بهذه المهنة هو استخفاف بهذا الدين العظيم الذي من المفترض أن يمثله الخطيب، وهو استخفاف بأهل الملة الذين يتحدث اليهم الخطيب، وما يترتب على ذلك من مفاسد وأمراض، وتداعيات على كل المستويات، إن نوادر خطباء هذا الزمن العجيب يكتب فيه المؤلفات والكتب والمجلدات، وتشيب منها الولدان، نسأل الله العفو والعافية .

تاسعا:- جهل بعض الخطباء والدعاة والمتحدثين الى الناس بفقه الأولويات والموازنات، فيتحدثون في المرجوح دون الراجح، وفي المفضول دون الفاضل، والذي ينجر على خطبهم وقدرتهم على التأثير بسبب جهلهم أو سوء فهم لبعض القضايا، أو تقصيرهم في الإعداد والتحضير، أو بسبب خلل في تنشئتهم، قبل سنوات اجتمع خمسة ملايين من رجال الدعوة والتبليغ في باكستان، هذا التجمع

دفع الكثير من القوى الى مراقبته ومتابعته بعين الريبة، والقلق فكان تقرير أحد المراقبين بعد أن تعرف عليهم، وسبر غورهم قال فيه:- هؤلاء قوم يتحدثون عما تحت الأرض وفوق السماء، ولا صلة لهم بالكوكب الذي نعيش فيه !!!

عاشرا:- هناك من يمارس هذا الفن لغرض الاسترزاق والتكسب، والاعتياش، وليس له منه هدف آخر أو رسالة أخرى، وكل ما يعنيه هو مرتب أخر الشهر، وعلى الدنيا السلام، فلا يعنيه أثر في الناس أو لم يؤثر، أقنع الناس أو لم يقنع، بل هذه القضايا هي آخر ما يعنيه من فن الخطابة، ولعل هذا النوع من الخطباء هم الأسوء أثرا، والأكثر سلبية على هذا الفن، والسبب في وجودهم هو انعدام المتابعة والمساءلة، وسوء الاختيار أو تعمد ذلك.

المبحث الثالث:-

عوامل النهوض بالخطباء والخطابة

اعداد الخطباء الأكفاء والنهوض بهم، وتحسين أدائهم أمر في غاية الأهمية، وعلى رأس الأولويات، وهي مسؤولية كبرى لا تقع على كاهل هذه الجهة أو تلك بل هي مسؤولية الجميع، كل في موقعه، وعلى قدر تأثيره، فلا بد أن تتظافر الجهود ويتعاون كل المعنيين لانجاز هذه المهمة، والعمل الجاد من أجل الوصول لحالة مرضية في وضع الخطابة والخطباء، ومن أهم القضايا التي تساعد في ذلك ما يلي -:

أولا:- اطلاق الحريات العامة، وتوفير البيئة المناسبة لاحتضان هذا الفن في جو من الحرية التي يزدهر فيها هذا الفن، ويبرز فيها الخطباء المصقعون، وإعطاء كل مواطن حقه في التعبير دون قيود أو عراقيل أو ملاحقة.

إن حرية التعبير حق مكفول في كل شرائع الأرض والسماء، واذا كانت حرية التعبير مباحة ومشروعة عند الأخرين، فهي في الاسلام فرض من الفرائض في الكثير من الأحيان، لقول نبينا - صلى الله عليه وسلم - : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[1]

ولا سبيل إلى نجاح خطيب أو مصلح من المصلحين في ظل القمع والإرهاب والاعتقال بسبب أو لغير سبب، بل في جو الحرية يزدهر هذا العلم، ويبرز المبدعون في هذا الفن وفي غيره.

ثانيا:- العمل على تعديل النظم والقوانين التي تفرق بين الموظفين في الحقوق والامتيازات والدرجات، حتى تتساوى الحقوق وتتوفر الفرص، لمن يحملون الشهادات الشرعية، لأن من شأن ذلك أن يشجع الكثيرمن الطلاب المتفوقين للتوجه

[1] رواه مسلم والترمذي

والالتحاق بالعلم الشرعي الذي هو أنفس العلوم وأنفع المعارف " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[1].

ثالثا:- تشجيع الطلبة المتفوقين في الثانوية العامة على التوجه للعلم الشرعي، وتوفير المنح الدراسية لهم، وتشجيعهم من خلال الكثير من الحوافز والامتيازات، لأنهم الأقدر على حمل هذا العلم، واتقان فن الخطابة، والتأثير في الجماهير، والأقدر على حمل هذه المسؤولية الرائدة، حتى لا يبقى هذا العلم النفيس حكرا على ضعاف الطلبة.

رابعا:- زيادة حظ التربية الإسلامية من الحصص المدرسية، وزيادة المنهاج للطلبة لرفع مستوى الطلاب، وتحصيلهم للعلم الشرعي، حتى يتم التأسيس على قواعد متينة قوية، ولتوفير فرص عمل جديدة للخرجين من طلبة هذا العلم.

خامسا:- اكرام وتشجيع الخطباء المجيدين لخلق روح التنافس وحتى تبرز الكفاءات، وتكتشف المواهب، وتبين الكنوز التي تبدع في هذا الفن، من باب قوله - صلى الله عليه وسلم - : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "[2]

سادسا:- استبعاد كل الخطباء الذين لا يحسنون هذا الفن، ولا يمكن اصلاحهم أو استصلاحهم، وبالأخص الذين جعلوا من هذا الفن وسيلة للاسترزاق والتكسب، وإحالتهم إلى عمل يناسبهم واستبدالهم بمن يصلح لهذا العمل.

---

[1] رواه البخاري ومسلم

[2] حديث صحيح رواه الترمذي.

سابعا:- عقد دورات تقوية للخطباء الذين هم على رأس عملهم في كل العلوم التي يحتاجون اليها في عملهم، بالأخص في اللغة العربية، كالنحو والصرف وفن الخطابة، ودورات في علم الحاسوب، وبقية الوسائل الأخرى المساعدة في الوصول إلى العلوم المطلوبة.

ثامنا:- تشكيل لجان متخصصة لفحص المتقدمين الجدد للعمل في مجال الخطابة، وقبول من يصلح لهذا الفن واستبعاد من لا يصلح، حتى لا يتسلق المنابرمن ليس كفء لذلك.

الفصل الثاني

ـ الخطبة ـ

المبحث الأول:ـ

تعريف الخطبة .

شرح هذا التعرف .

المبحث الثاني:ـ

أجزاء الخطبة .

المبحث الثالث:ـ

سبب ضعف الخطب

المبحث الرابع:ـ

تحضير الخطبة .

المبحث الخامس:ـ

اعداد العناصر.

المبحث السادس:ـ

الصياغة .

المبحث السابع:ـ

الالقاء وأنواعه .

المبحث الأول:-

تعريف الخطابة

الخطابة لغة:-

من الفعل خطب يخطب خطبة - بضم الخاء- وخطابة.

يقال: ألقى خطبة، بضم الخاء، أو خطب خطبة، أي: ألقى كلاما مخصوصا على المنبر، فهو خطيب وجمعها خطباء.

أما بكسر الخاء: خطب خطبة، أي: طلب يد امرأة من أجل الزواج، فهو خاطب، وهي مخطوبة.

أما في الاصطلاح:

قال أبو اسحق:- الخطبة عند العرب هي : - الكلام المنثور المسجوع ونحوه.

قال أرسطو في كتاب الخطابة هي: القدرة على النظر في كل ما يوصل الى الاقناع في أي مسألة من المسائل.[1]

قال ابن رشد : (الخطابة هي: قوة تتكلف الاقناع في واحد من الأشياء المفردة)[2]

تعريف علم الخطابة:-

الخطابة علم وفن قائم بذاته له قواعده وأصوله وضوابطه وقوانينه، ومن تعلم هذه القواعد والأصول فليس من الضرورة أن يصبح خطيبا، فقد تحدث أرسطو عن الخطابة، وكتب فيها كتاب - الخطابة - ولكنه كان قليل الكلام، ولم يكن خطيبا،

[1] كتاب الخطابة لأرسطو ص90
[2] تلخيص الخطابة ص15

ولكن هذا العلم وهذه القوانين تفيد من هيئت له أسباب القدرة على الخطابة، وأوتي من الاستعداد الفطري والخلقي والجرأة، فهي له كالمصباح الذي يوضح له الطريق ويرشده الى الجادة، ويعينه على تحسين الأداء وتقليل الأخطاء.

أما علم الخطابة فقد عرفه المحدثون بالاتي:-

علم الخطابة : هو أصول وقواعد ترشد الانسان الى فن مخطابة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الاقناع والاستمالة.

شرح التعريف:-

1) في قوله " أصول وقواعد ترشد الانسان أي – الخطيب- " : للتأكيد على أن علم الخطابة: علم قائم بذاته له أسس وقواعد مدونة أخذت من ألسنة الخطباء المشهورين، الذين أجادوا هذا الفن عبر التاريخ، كما أخذ علم النحو من السنة فصحاء العرب وشعرائهم وأدبائهم الذين أتقنوا اللسان العربي.

ولا يزال علم الخطابة يتقدم ويتطور تبعا لحاجة الناس وتطور وسائل الخطاب، حتى عاد علم الخطابة يتسمى بأسماء كثيرة، منها:- فن الإعلام والغزو الثقافي، وعلم الدعاية وفن التأثير! وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وأهميته في حياة الناس، ولقد ساعدت وسائل الاعلام بأنواعها والتي جعلت العالم كله كالقرية الصغيرة في تطوير هذا الفن وانتشاره، وزيادة الحاجة إليه، لتسويق المعتقدات والمبادئ حتى البضائع والمنتجات، من كل الألوان وفي كل الميادين.

2) في قوله " فن مخاطبة الجماهير" : فالخطابة فن من الفنون يتقنه من تهيأ له فطريا واستعد له خلقيا مع شيء من الدربة والممارسة والترويض، وكونه فنا يمكن أن يكتسب كغيره من الفنون والحرف الأخرى، من خلال مجموعة من العوامل التي تعين على ذلك، ليس أخرها فهم أصول وقواعد هذا الفن، وتجهيز المجاديف للعوم في بحر هذا الفن المتلاطم.

3) فـي قولـه " مخاطبـة الجمـاهير " : فالخطبـة ليسـت كالرسـالة أو الروايـة أو الصحيفة أو المقال الذي يكتبه الكاتب أو الأديب، بل أساسها وجود جمهور مستمع يتحدث اليه الخطيب، ويلقي عليه الخطبة ويسمعه ما يريد، وهذا لا يتسنى لكل من يفكر أو يؤلف أو يكتب، فلا يسمى خطيبا من كان يلقي خطبة في الفلاة أو في الجبال أو الصحاري إلا أن يكون متدربا على الخطابة.

4) في قوله " بطريقة القائية " : وسيلة الخطيب للوصول الى قلوب المستمعين هو صوته الذي يقرع الآذان ويحرك القلوب، وفق قواعد وأصول وأسس واضحة تميز الخطيب عن المهرج أو الممثل، وغيره من المتكلمين الأخرين الذين يتحدثون لجمهور، فليس كل حديث في جمهور يعتبر خطابة، فالخطابة تتميز عن غيرها بمجموعة من القواعد والأسس تجعل من الحديث خطبة، وليس شيئا آخر.

5) في قوله "تشتمل على الاقناع": الخطبة ليست مجرد كلام أجوف ليس له هدف أو مضمون أو غرض، بل هي رسالة ذات مضمون يوصله الخطيب الى جمهوره الذي يتحدث فيه، ويقنع الناس به، بل يتوقف نجاح الخطيب أو فشله على الإقناع من عدمه، فكلما ارتفعت نسبة المقتنعين كلما زاد رصيد الخطيب في النجاح، وعكسه صحيح، من هنا وجب على الخطيب الناجح أن يعد عدة الاقناع، ويحشد كل الحجج والبراهين، والأدلة النقلية والعقلية والمنطقية التي يستطيع بها أن يصل إلى القلوب، ويفتح بها الآذان، ويحرك بها العواطف، ويهز بها الأبدان، وأية خطبة تخلو من قضية أو موضوع أو رسالة لا تسمى خطبة، وإن حوت على رسالة وقضية ومضمون، ولكن الخطيب لم يكلف نفسه عناء اقناع الناس بها ولم يجتهد من ذلك، فهي وعدمها سواء، فالإقناع جزء رئيس من الخطبة، وجزء مهم في فن الخطابة.

6) في قوله " الاستمالة ": الخطيب ليس كالفيلسوف الذي ينتهي به المطاف الى اقناع الجمهور بالفكرة التي يؤمن بها ويدعو اليها، بل لا بد للخطيب بعد اقناع الجمهور أن يستميل الجمهور، ويحملهم على الفكرة التي يريدها من الخطبة، وأن ينقلهم من الفهم والعلم الى العمل والسلوك والتنفيذ، لذلك قيل:- الخطبة للتحريض والتحفيز والتحريك والدفع من أجل العمل، فما فائدة أن يحث الخطيب الناس على فعل فضيلة من الفضائل، وأن يقنع الناس بها، ولكن لا يفعلها أحد من المخاطبين وما فائدة أن ينهى الخطيب عن سلوك سيء ويقنع الناس بسوء هذا السلوك، ولكن أحدا من المخاطبين لم يترك هذا السلوك ولم يبد أي استعداد لذلك.

فالاستمالة هي ثمرة الخطبة ونتاج هذا الفن، وحصيلة هذا الجهد المبارك، وهي بهذا الوصف من أنجع وسائل التغيير وأفضلها، لأجل ذلك كانت الخطابة وسيلة الأنبياء الذين كانوا خطباء في أقوامهم، وهي وسيلة كل المصلحين الذين يسعون الى التغيير والتبديل والنهوض والتقدم، لما فيها من قوة دفع وتأثير للقوى الكامنة التي يمكن أن تجيّر لفعل خير وترك الشر.

المبحث الثاني :-

أجزاء الخطبة

تنقسم الخطبة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية وهي: -

المقدمة / العرض / الخاتمة

أولا:- المقدمة

تعتبر المقدمة مدخلا لموضوع الخطبة، وهي أول جزء من الخطبة يطرق سمع المخاطبين، ومن خلالها يومئ الخطيب إلى موضوع الخطبة وعنوانها، صراحة عند بعض الخطباء أو تلميحا تستنتج من خلال السياق، حيث يشير البعض الى عنوان الخطبة كأن يقول :- عنوان خطبتي كذا، أو سأتحدث في موضوع كذا، وهناك من يترك ذلك للمخاطب الذي يتبين العنوان ويستنتجه من مقدمة الخطبة، ولا أنصح الخطباء أن يصرحوا بعنوان الخطبة وأن يتركوا ذلك للمستمع، واسوأ من ذلك أن يحدد الخطيب عنوانا للخطبة، ثم يتحدث في واد، والعنوان في واد آخر.

وحتى تكون المقدمة ناجحة ومؤثرة وسليمة لا بد أن تتميز بالآتي:-

1) القصر:

فالمقدمة كلمات محدودة معدودة وحجمها بالنسبة للخطبة كحجم المقدمة بالنسبة للكتاب، فلا يصلح لها التطويل، والتفصيل والاستطراد، بل هي مفتاح الخطبة، ومدخل لقلوب السامعين.

الوضوح:

عبارات المقدمة واضحة مفهومة مبسطة معلومة، بعيدة كل البعد عن الغموض والتعقيد والابهام، فهي مدخل لما بعدها من العرض، فوضوحها يعين على وضوح العرض، وغموضها غموض لما بعدها، فإن أشكل على السامع فهم المقدمة سيكون بالنسبة للموضوع والعرض أكثر إشكالا وغموضا، وكل ذلك يفوت غرض الخطبة ومقصودها.

2) قوة التأثير في نفوس السامعين:

بالمقدمة يهيء الخطيب قلوب السامعين وآذانهم للتلقي والحضور مع الخطيب، وبها يشوق المستمعين لما هو آت، و يستنفر كل وسائل الإدراك والتلقي، فهي تحمل كل معاني الجذب والتطلع والتحفيز، ونجاح الخطيب فيها هو بداية التوفيق والنجاح، وفشله فيها هو مطية الفشل في كل أجزاء الخطبة.

ومن محاذير المقدمة خلو المقدمة من أحد هذه العناصر التي تميزت بها، أو أن يعرض فيها الخطيب من الموضوعات التي لا تصلح للمقدمة، كأن يذكر فيها الحجج قبل طرح الفكرة أو يطرح العلاج قبل البدء في تشخيص المرض الذي يأتي ضمن العرض.

ثانيا:- العرض

العرض: هو موضوع الخطبة وهو الجزء الرئيس من بين أجزائها، فيه يطرح الخطيب غرضه ورسالته من الخطبة، ويذكر فيه الأدلة والحجج والبراهين، وكل أسباب الإقناع التي يستعملها الخطيب، وفيها يذكر الكلام المقتبس الذي يزين به الخطبة ويقوي به حجته.

وهو القسم الأكبر من بين أجزاء الخطبة، وما وجدت الأجزاء والأقسام الأخرى إلا لخدمة هذا الجزء، وعلى هذا الجزء تنصب عناصر الخطبة التي سنتحدث فيها عند إعداد الخطبة، فالموضوع هو المحور الأساسي فيه تعرض رسالة الخطبة ومقصودها ومضمونها، ولا بد للعرض الناجح من مرتكزات وضوابط أساسية وهي على النحو التالي:

مرتكزات الخطبة الناجحة

أولا ـ الوحدة الموضوعة :ـ

وأعني بذلك وجود جامع أو عنوان يجمع الخطبة الواحدة في إطار موضوعي، حتى لا يتشتت ذهن السامع وفكره في مواضيع كثيرة، وعناوين متعددة، إن من شأن وحدة موضوع الخطبة وتناسق أفكارها أن تعين على ما يلي:ـ

1) معالجة الموضوع الواحد من كل جوانبه، وإشباعه في البيان والإقناع، بخلاف المواضيع العديدة التي لا يمكن بيانها والإقناع بها في خطبة واحدة.

2) إن وجود عنوان واحد أو وحدة موضوعية للخطبة من شأنه أن يسهل على المستمع أن يفهم الموضوع، وأن يلم به من كل جوانبه، وأن يخرج بحصيلة وفهم مقبول، بدل أن يضيع المستمع في مواضيع عدة في آن واحد، ولعل أهم آفات الخطباء في هذا الزمان هو تعدد الموضوعات والعناوين والعلوم والأفكار في الخطبة الواحدة، والتي لا يجمعها جامع، وليس بين أفكارها ترابط، بل إن بعض الخطب لا تعدو أن تكون نوعا من الاستطراد المذموم، والتشتت غير المنضبط، فبعض الخطباء يتحدث في نصف ساعة في غالبية أبواب الملة ويشرق ويغرب دون ضابط، أو تناسق فيما يقول، أو ترابط بين الأفكار.

في إحدى المهرجانات أرسلت الأوقاف من ينوب عنها في احتفال بمناسبة الإسراء والمعراج، فقال الرجل المبعوث من قبل الأوقاف:ـ أنا أريد أن أكون أول المتحدثين. فقلت له: لماذا تبدأ بالحديث ؟ فقال: أخشى أن يسبقني المتحدثون إلى دروس الإسراء والمعراج ولا يبقى ما أتحدث به !!

فقدمناه بالحديث، فختم الحديث في الإسراء والمعراج، ثم تحدث في دروس الهجرة فختمها، ثم عرج على أبواب أخرى من الملة كل ذلك في ربع ساعة من الزمان، وهكذا، فلم تكفه حادثة الإسراء والمعراج التي جمعت بين البشر والملائكة،

وبين الأحياء والأموات، وبين جميع الأنبياء، وبين مكة وأرض الإسراء، وبين الأرض والسماء، وبين السماء وسدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وجمعت بين مشاهد من الجنة ومشاهد من النار، ورأى فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - من آيات ربه الكبرى- وغير ذلك، كل هذا لم يسعف خطيبنا أن يتحدث فيها دقائق معدودة، فجمع بين مواضيع شتى لا يجمعها جامع.

إن الخروج على سياق الموضوع الواحد في الخطبة هو دليل على ضحالة علم الخطيب، أو عدم تحضيره، أو قلة ثقافته واستهتاره بالجمهور الكريم واستخفافه به، أو هو ضعف في قدرة الخطيب على الإبداع في فن الخطابة.

ثانيا - الواقعية :-

وأعني بها أن يكون حديث الخطبة وموضوعها يمس واقع الناس، ويعالج قضية حية يعيشها الناس، وتهم جمهور المستمعين في حاضرهم ومستقبلهم، وهو ما يطلق عليه (حديث الساعة) الذي يخوض فيه الناس في نواديهم ولقاءاتهم وتجمعاتهم، ويخوض فيه الخاصة والعامة، فالخطيب الناجح هو الذي يعزف على الوتر المناسب في الوقت المناسب، والذي يقول ما يجب أن يقال وليس ما يجوز أن يقال، لأن الذي يجوز أن يقال كثير ويحسنه غالبية الخطباء والمتحدثون، أما ما يجب أن يقال فهو قليل ولا يحسن الخوض فيه، والحديث حوله إلا الخواص من الخطباء، الذين أوتوا سعة في العلم ودقة الملاحظة، إن الموضوع الذي يجب أن يطرح وأن يتم الحديث فيه هو الموضوع الأولى بالطرح والمعالجة من بين كل الموضوعات الأخرى.

نحن نعيش في واقع يموج بالأحداث من كل لون وشكل، بأحداث جسام سياسية واقتصادية واجتماعية وسلوكية ... الخ. في ظل حياة معقدة وتزداد تعقيدا بمرور

الزمن، فلا يعوز الخطيب الناجح أن ينتقي ألصقها بالناس وأنفعها لهم، وأقربها إلى قلوبهم وواقعهم .

إن الخطيب الذي يطرق موضوعا لا صلة له بواقع الناس، ولا يمس معاناة الناس ولا يعينهم في الحاضر والمستقبل،هو خطيب غير موفق وغير ناجح، وهذه إحدى آفات الخطباء وأمراضهم، والأمثلة في هذا الجانب فوق الحصر.

أحد الخطباء ذهب إلى قرية من القرى ليس فيها جمل واحد، وغالبية أهلها خاصة صغار السن لم يروا الجمال إلا عبر شاشة التلفاز، فصال صاحب الفضيلة وجال في خطبة طويلة يتحدث فيها عن زكاة الإبل، وصدقات الجمال!! فأي خطيب يحترم نفسه وجمهوره يتحدث في موضوع كهذا، وآخر في ظل أحداث جسام تحدث في عالم الجن عن عاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم !! وآخر تحدث في السماء في النجوم والمجرات الفضائية والبعد بين النجوم والكواكب!! وفي اليوم التالي سألوا قريبا له أين ذهب صاحب الفضيلة الذي حدثنا بالأمس عن النجوم؟ فقال من باب التندر: أخذ متره وعرج إلى السماء حتى يستعد للجمعة القادمة.

واشتكى أحد الخطباء لصاحبه صعوبة اختيار موضوع ليوم الجمعة للحديث فيه، فقال له صاحبه:- أخطب كما أخطب أنا!! فقال له: وكيف تخطب أنت ؟ قال : أخطب في واد والناس في واد آخر!! وقد حضرت خطبة لهذا الخطيب في الأسبوع الذي تم فيه اجتياح مدينة دورا من قبل الاحتلال، وكانت الخطبة بعد يومين فقط من حادثة استشهاد ستة شهداء من أبناء المدينة، وقد حضر الناس إلى المسجد خفية، ومن الأزقة والحواكير وفي ظل منع صارم للتجول، حيث يقع المسجد في طرف العمران من أجل أن يسمعوا الخطيب يبلسم الجراح، ويرفع المعنويات ويواسي المكلومين، فإذا بالخطيب يتحدث عن حمار بني سعد الذي حمل حليمة السعدية مرضعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى البادية، ولقد كاد يقول

للناس ابكوا على حمار بني سعد !! حتى قال لسان حالهم : لا تبكوا حمار بني سعد ولكن ابكوا حماركم الذي فوق المنبر.

ثالثا:- أن يتحرى الخطيب الدقة في اختيار موضوع حقيقي أو خبر صحيح، وهذا جزء من الواقعية من جهة ويعزز ثقة الجمهور بالخطيب من ناحية أخرى، فلا يجوز أن يبني موضوع الخطبة على إشاعة لم تثبت، أو خبر لم يصح، لأن من شأن الحديث في إشاعة أو خبر مغلوط أن يهز ثقة الجمهور بالخطيب، وأن يضع علامات استفهام على مجموع ما يتحدث فيه الخطيب.

إن عنصر الثقة في الخطيب من مستلزمات نجاحه وتأثيره في الناس، وقدرته على إقناعهم واستمالتهم، فعلى الخطيب الناجح مراعاة هذا العنصر وتحري الدقة والموضوعية في كل ما يقول وينقل ويقتبس، وهذا يفرض على الخطيب أن يقف على صحة الحوادث والقصص والمشاهد التي ينقلها ويتحدث فيها، وأن يغربل كل رواية ويتثبت من كل حادثة فيها، عملا بقوله تعالى:

" يا أيها الذين أمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين "[1]

وكذلك قوله تعالى:

" واذا جاءهم أمرمن الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم "[2]

قيل: - هم ضعفة المسلمين كانوا يسمعون إرهاصات المنافقين على المسلمين فيذيعونها فتحصل بذلك المفسدة -[3]

---

[1] سورة الحجرات 6
[2] سورة النساء 83
[3] فتح القدير, تفسير سورة النساء 491/1 .

فليس كل شيء يقال أو يسمع أو يذاع يصلح للنشر، وليس المسلم هو الذي ينقل كل شيء فيصبح بوقا لكل إشاعة، (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع)[1]، إن كان هذا لا يصح في حق العامي فهو من الخطيب أقبح، وهي آفة لا يسلم منها الخطباء - إلا من رحم الله - فعلى الخطباء أن يكونوا في منأى عن الوقوع في حبائل المرجفين، وإشاعات المغرضين، وأن يعملوا على محاربتها واجتثاثها لكثرة مفاسدها وآثارها المدمرة على المجتمع، لا أن يكون ضحية من ضحاياها ولا فريسة من فرائسها.

رابعا :- التثبت من صحة الأدلة والحجج والبراهين والأقوال المأثورة والكلام المقتبس الذي يحتاج إليه الخطيب.

والفرق بين هذا العنصر والذي سبقه هو أن المطلوب في النقطة السابقة صحة الحدث، وصحة الخبر الذي يتناوله الخطيب بالحديث والمعالجة، ولكن المطلوب في هذه النقطة هو حالة الأدلة والحجج التي يستعملها الخطيب، ويحتج بها لتأكيد صحة ما يدعو إليه أو ينهى عنه، والمقصود بسلامة الأدلة هنا شيئان اثنان:-

1) تحري صحة وسلامة الأدلة التي يذكرها الخطيب ويستدل بها في موضوع خطبته، خاصة الأحاديث النبوية، فان من ضعف الخطيب وعدم نجاحه أن يستدل بأحاديث لا تقوم بها حجة لا تصلح للاستدلال، وأفحش من ذلك أن يكون مدار الخطبة كلها على حديث موضوع، أو ضعيف لا يصلح للاحتجاج، وهذا مرض العصر الذي لا يكاد يسلم منه خطيب، ولا تكاد تسلم منه خطبة، فعلى كل خطيب يحترم الجمهور ويحترم عقول الناس أن يتحرى وأن يبحث في كل دليل يستدل به، وقد أصبحت هذه المهمة في ظل الإمكانيات الحديثة ووجود الحاسوب والانترنت من الأمور السهلة واليسيرة.

[1] حديث صحيح، كما قال الألباني، رواه الحاكم في المستدرك

ولكن للأسف هناك خطباء غالبية بضاعتهم من الأحاديث الضعيفة، وحتى الموضوعة، وكأنهم متخصصون في هذا الجانب ولا يحفظون إلا من رديء البضاعة في هذا العلم، فقد خطب أحد الخطباء في فضائل ليلة النصف شعبان، وذكر فيها عشرات الأحاديث ولم يصح في فضلها سوى حديث واحد كما يقول المحدثون.

ومطلوب من كل خطيب ضبط الآيات وانتقاء الآيات التي تصلح للاحتجاج في موضوع الخطبة، فلا يستدل بآيات النكاح في موضوع الحديث عن الطلاق، وهكذا، وكذلك أن يضبط الأحاديث من حيث اللفظ والمعنى، فلا يقبل من الخطيب أن يلحن في شيء من القرآن والسنة أمام جمهور المخاطبين، وان جاز ذكر الحديث بالمعنى فالأولى ذكره بلفظه لقوله - صلى الله عليه وسلم - :" رحم الله امرءا سمع مقالتي فبلغها كما سمعها فلرب مبلغ أوعى من سامع[1].

2) في حال الاقتباس من كلام الآخرين على الخطيب أن يكون أمينا في النقل حتى لا يقوّل الآخرين ما لم يقولوا.

خامسا :- الخطبة تعكس شخصية الخطيب وتصور باطنه، وتجسد عقله وقدرته على هذا الفن واجادته له، قال يحيى بن خالد :- ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها، الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه، والرسول يدل على مقدارعقل مرسله، والهدية تدل على مقدار مهديها – البيان والتبيين .

والخطبة تماما كالكتاب، بل هي أكثر إفصاحا عن عقل صاحبها وملقيها من الكتاب، وحتى تصح هذه القاعدة يجب أن تكون الخطبة من صناعة الخطيب، وإبداعه وصياغته، وأن يترك فيها بصماته، وعصاميته، فلا يصح من الخطيب أن يقتبس خطبته بكاملها من خطيب آخر، أو من مصدر آخر، من كتاب، أو الصحيفة،

[1] رواه أبو داود والترمذي وابن حبان وقال الترمذي: حسن صحيح

أو مجلة أو من خلال الإنترنت... الخ, كما يفعل بعض خطباء هذا الزمان، إن من حق الخطيب أن يقتبس من كل علم وقول ينسجم مع خطبته، وأن يوظف هذا المقتبس لخدمة الخطبة وموضوع الخطبة، أو يساعد في تحقيق الغرض منها، أو يساعد في تدعيم الحجج والأدلة، أما أن تقتبس الخطبة بكليتها من الآخرين، من كتبهم أو من أشرطة مسجلة، أو اقتباس غالبية الخطبة فهذا مرض وعيب يصيب الخطباء، وضعف في قدرتهم، إن اكتشاف هذا الأمر وهو يسير في هذا الزمان يسقط هيبة هذا الخطيب، ويقلل من تأثيره في الجمهور، ويقتل عنده عنصر الإبداع، يضاف الى ذلك أن ما قيل في زمن ماض قد لا يصلح لهذا الزمن، وما قيل في بلد ما قد لا يصلح لكل بلد, فمهما كانت الخطبة المنقولة أو المقتبسة قوية ومؤثرة، فالأفضل منها هو أن تكون الخطبة من صناعة الخطيب وإبداعه, ومن ينقل خطبة أو جلها لا يسمى خطيبا، بل هو قارئ ناقل للخطب، فالخطيب يقتبس كل نافع ومفيد لتدعيم رأي أو تقوية حجة ولكن بالقدر الذي لا يذهب شخصية الخطيب، ولا يطغى على موضوع الخطبة، وخير اقتباس ما كان من كتاب الله - عز وجل - فهو خير الكلام وأطيب الأقوال، والأقوى عند الحجة، فعلى كل خطيب أن يزين خطبته بالقرآن، وأن يبارك قوله بقول الرحمن، قال هيثم ابن عدي: - قال عمران بن قحطان :- ان أول خطبة خطبتها عند ابن زياد، فأعجب بها الناس وشهدها عمي وأبي، ثم إني مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم:- هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن-[1].

ويستحسن في الخطيب أن يقتبس من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - بما يدعم به حجته، لمكانة السنة في نفوس المسلمين، وكذلك من الأقوال المأثورة، ومن الحكم والأمثال، والشعر، ومن كل نافع مفيد بالقدر الذي يوظف لخدمة موضوع الخطبة، ويحقق الغرض المطلوب.

[1] البيان والتبيين للجاحظ 11/1

ومن القضايا الممجوجة كذلك هو إلقاء الخطبة الواحدة في أمكنة عدة، وهذه الآفة تكثر في الوعاظ الذين يطوفون على المساجد، فيخطبون كل جمعة في مسجد، بخطبة واحدة لا يغير منها حرفا واحدا! وكأنها معلقة امرؤ القيس، وكذلك ما يعرف بالخطب الدوارة حيث يقوم بها مجموعة من الخطباء يتعاقبون على مجموعة من المساجد، فيطوف أحدهم على خمسة مساجد بنفس الخطبة، ويؤخذ على هذا النوع من الخطب أن ما يصلح لهذا البلد قد لا يصلح لبلد آخر، وما يصلح لهذا الأسبوع قد لا يصلح لآخر، حتى لو كانت تصلح فان في ذلك حرج لبعض الخطباء في ظل سهولة الحركة في هذا الزمان، فقد ينتقل بعض المستمعين فيبتلى بالخطبة الواحدة أكثر من مرة ، حدثني الثقة، قال :- سمعت خطبة من أحد الخطباء في المسجد القريب، فذهبت في الأسبوع التالي لبلد مجاور لحضور مناسبة هناك، فلما ذهبت لصلاة الجمعة وإذا بخطيبنا هو هو في المسجد الجديد، وألقى علينا نفس الخطبة دون أن يغير منها حرفا واحدا، وقد يكون معنا من سمعها في المرة الأولى وهو يحضرها اليوم، فقلت للخطيب مازحا بعد الصلاة:- أخبرني أين ستلقي هذه المطولة في الأسبوع القادم حتى أحفظها عن ظهر قلب.

إن تكرار الخطبة الواحدة دون مسوغ موضوعي ومنطقي، هو من أخطاء الخطباء الذين لا يحترمون الجمهور، ولا يكلفون أنفسهم عناء التحضير، والإعداد لموضوع جديد ومناسب، وأقبح منه سرد خطب قيلت قبل قرون من الزمن، وقد حدثنا عن خطيب في بلدة باقة الغربية بجوار طولكرم كان يلقي خطبا كتبت في زمان بني عثمان، وكان في آخرها يدعو بالعمر المديد والرأي السديد للسلطان باي يزيد، الذي مات قبل قرنين من الزمان.

سادسا:- على الخطيب حتى ينجح ويكسب القلوب وينقاد إليه الناس، أن يبتعد عن تجريح الأشخاص والهيئات والمؤسسات ما أمكن، وأن يقتدي برسول الله - صلى الله علي وسلم - الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وخلّقه بخلق القرآن الكريم، الذي كان

إذا أراد أن يوجه نقدا، أو يحارب منكرا كان يقول معمما:- ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا[1]

فهذا أدب النبوة عندما يجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطأ في بعض أفعال أو أقوال صحابته, يصعد المنبر فيحمد الله و يثني عليه ثم يقول: "مابال أقوام يفعلون كذا وكذا، لأن التصريح بأسماء المخطئين قد يولد لديهم ردات فعل، وقد يكون ذلك سببا في عدم استجابتهم للخطيب والنفور منه، وإغلاق وسائل التقي أمام هذا الخطيب، لذلك يعلمنا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ننبه للخطأ بأسلوب حسن يغلب عليه التلميح لا التصريح، ولنا في رسولنا قدوة حسنة، فقد قال في شأن من رفع بصره للصلاة: (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة)[2].

وفي رواية أخرى: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صنع شيئا فرخص فيه. فتنزه عنه قوم, فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم, فخطب فحمد الله، ثم قال:" ما بال أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه, فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم خشية"[3]

من حق كل خطيب أن يحارب كل منكر، وأن يتصدى لأهل الزيغ والضلال، وأن يعالج كل الأمراض التي تتفشى في المجتمع، وأن ينتقد النقد البناء المثمر، ولكن بالأسلوب الذي يجمع ولا يفرق، ويقرب القلوب ولا يبعدها، ويحقق الغرض في الإقناع والاستمالة، وليس بالأسلوب الذي يولد ردّات فعل عند الجمهور، ويغلق المداخل إلى قلوبهم، بل الخطيب يصل إلى النفوس وتنقاد إليه القلوب بالإحسان إلى

[1] رواه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي بسند صحيح
[2] رواه البخاري
[3] رواه البخاري

المستمعين، واحترامهم وتقديرهم، وليس بلمز الجمهور وهمزهم، وسبّهم وشتمهم والقسوة عليهم، قال الشاعر :-

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما استعبد الإنسان إحسان

فالدين النصيحة وليس الشتيمة والفضيحة، ومن تطاول على مستمعيه لن يستمعوا له ولن يحترموه.

"ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك"[1]

وقد أمر الله الدعاة بالقول اللين حتى في مخاطبة أسوأ الناس، فقال لموسى وهارون عندما أرسلهما إلى الطاغية فرعون، قال:-

"فقولا له قولا لينا لعله يذكر أو يخشى"[2]

وأمرنا الله تعالى بالقول السديد النافع المفيد، فقال:-

" يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما"[3] .

قام أحد الخطباء يوما على منبر أحد أكبر المساجد في المحافظة، فقال للناس :- ألا لعنة الله على المدخنين! ألا لعنة الله على من يبيع الدخان! أو يتاجر فيه أو يزرعه أو ينقله أو يشتريه أو يتعامل معه" فقام إليه جمهور المدخنين فقالوا:- ألا لعنة الله على الخطيب!!!!، وأشعلوا سجائرهم وغلاييهم داخل المسجد قبل انتهاء خطبة الجمعة، فهل حقق هذا الخطيب غرضه من محاربة هذه الآفة، وحث الناس على تركها، هل أقنع واحدا بضرورة الإقلاع عن هذه الآفة، أم كانت النتائج عكس المطلوب تماما، بل فرض على الناس أن يتحدوه وأن ينالوا منه، وكان يمكنه أن

[1] سورة آل عمران 159
[2] سورة طه44
[3] سورة الأحزاب 70-71

يعالج بهدوء، وأن يفرض احترام الناس له، وأن يكسب قلوبهم وأن يجد من يقلع عن هذا المرض لو أنه أدرك من أين وكيف تؤكل الكتف؟.

سابعا :- الخطبة الناجحة هي الخطبة التي لها مضمون وتحمل رسالة لجمهور المستمعين، ونجاح الخطبة بقدر إيصال هذه الرسالة وإقناع الجمهور بها، من خلال سرد الأدلة والحجج وترتيبها ترتيبا منطقيا، ومن بديهيات الأمور أن يكون غرض الخطبة مفهوما لدى الخطيب، وبشكل واضح حتى يمكنه تسويقه على الجمهور، أما إن كانت الخطبة بلا هدف ولا مضمون، وليس لها رسالة نبيلة سامية، فهي كالعدم وكأنها لم تكن، بل هي لعلعة وثرثرة وتهريج، ولا بد لهذا الغرض الذي هو مبعث الخطبة، وسبب إلقائها أن يكون جزءا من موضوع الخطبة الأساسي، الذي تم اختياره قبل الشروع بإعداد الخطبة، وأكون متفقا مع الحقيقة إذا قلت: إن هناك خطباء أو بعض الخطباء يصولون على المنابر لا يعرفون لخطبهم مضمونا، ولا غرضا ولا رسالة، ولا حتى عنوانا واضحا !!!.

ثامنا :- الترتيب المنطقي للخطبة الناجحة، فلا يقدم ما من شأنه التأخير، ولا يؤخر ما من شأنه التقديم، بل إن الخطبة بناء متكامل متناسق وفق أسس وقواعد، وكل لبنة لها مكانها المناسب، وقد لا تصلح في غيره، لذا يجب أن تكون كل عبارة أو حتى كل كلمة في مكانها المناسب، فمن أراد أن يعالج ظاهرة أو مرضا اجتماعيا، أو سلوكيا، فلا يعقل أن يبدأ بالعلاج قبل تشخيص المرض، والوقوف على أسبابه وآثاره وتداعياته وعوارضه، فالخطيب طبيب يعالج الأرواح والنفوس، فعليه أن يحسن البدء حتى يحسن الختم، فلا يصح من طبيب الأبدان أن يذكر للمرضى ما يحتاجونه من العلاجات والأدوية قبل الكشف الطبي، ومعرفة المرض وخطورته وأسبابه، وهكذا، وعند ذكر الأدلة والحجج أن يبدأ بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال السلف الصالح، وليس بالعكس فالعلم كما قال الإمام الشافعي: يؤخذ من أعلى وليس

من أسفل، فلا يقدم على كتاب الله ثم سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - قولا، وإذا نهى الناس عن أشياء ممنوعة، والناس بمسيس الحاجة إلى بدائل فعليه أن يذكر لهم بدائل، فان نهى عن المعاملات الربوية في البنوك، وعن كل استثمار ربوي، يحسن به أن يرشد الناس إلى القرض الحسن، والاستثمار في الشركات المشروعة والمعاملات المباحة كشركة المضاربة، وما تقوم به المصارف الإسلامية في هذا الزمان، التي توفر البدائل المشروعة المتوفرة، أما أن ينهى ويحرم ولا يذكر البدائل، فكل الناس تحسن المنع والتحريم، وكل الناس تعرف أن الربا حرام، وأن الزنا حرام، ولكن ليس كل الناس تحسن الحديث في البدائل، وفي وضع الحلول المشروعة، فنحن ولله الحمد ننتمي لدين عظيم يمتاز بالشمول والواقعية والديمومة، وهو يناسب كل زمان ويصلح لكل حين وكل مكان، وعلى الخطباء أن يدركوا هذه الحقيقة قبل غيرهم، وأن يخاطبوا الجمهور من وحي هذا الفهم.

تاسعا :- على الخطباء الذين يتولون الخطب الدينية في الجمع والأعياد وغيرها من الخطب الدينية، أن يلتزموا بالأحكام الشرعية المتعلقة بهذه الخطب، من الحمد والثناء، والتواصي بالتقوى، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وقراءة شيئا من القرآن، وبعض الأحاديث النبوية، ويستحسن من كل متحدث، أو خطيب في الخطب الدينية وغيرها أن يبدأ خطبته بالحمد والثناء على الله بما هو أهله، ويصلي ويسلم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

كما ويسن في خطبة الجمعة أحكام أخرى منها: إلقاء خطبتين والجلوس بينهما، وأن تكون الخطبة قبل الصلاة في الجمعة، وبعدها في العيدين.

عاشرا: - هناك بعض الخطباء يتحسسون رضا المستمعين فيجتهدون في إرضائهم وخطب ودهم على حساب الحق، لذلك يحولون الحق إلى باطل والباطل إلى حق،

ومن هذا المنطلق يحرمون الحلال ويحلون الحرام، خاصة أولئك الذين يمارون الحكام ويتزلفون إليهم.

إن رسول - صلى الله عليه وسلم - الذي واجه الجاهلية، وهو يدعو إلى الواحد الأحد ولم يكن ليخشى في الله أحدا، يعلمنا كيف يكون الداعية جريئا مقداماً لا يخشى في الحق لومة لائم ؟ وأن يكون واثقاً من حقه الذي يحمله، معتزاً به، فإن ثقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحق الذي جاء به والحق الذي جرى معه ليلة الإسراء والمعراج جعله يصارح القوم بما رأى، أنى كانت النتيجة ، وكائناً ما كان رأيهم في هذا الحق، رغم ارتداد ضعاف الإيمان عن الإسلام، ورغم اتخاذ بعض المشككين من هذا الحدث مادة للطعن والتكذيب والتشكيك، لكن هذا كله لم يكن ليمنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الصدع بالحق المبين، وفي هذا مثل كريم للدعاة العاملين أن يجهروا بالحق، ولا يخشوا أثره ووقعه في نفوس الخصوم، فالدعاة كما علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يتملقون أحدا في الحق، ولا يتحسسون مواضع الرضا والاستحسان عند الناس ليرضوهم به، كما يفعل الكثير من المجاملين في زماننا هذا، ومن الذين تربعوا على مقاعد الفتوى والوعظ والإرشاد، كم سمعنا هؤلاء وهم يأمرون الدعاة والعاملين، أن يسيروا مع التيار، وحجتهم أن الناس يستحسنون ما يوافق هواهم، ويساير مصالحهم ..

كم من أهل الفتوى أو المشايخ من لا يفتي إلا بما يرضي العوام، سواء كان حقاً، أو باطلاً، راجحاً، أو مرجوحاً، وإذا سئل عن ذلك، أجاب: أن عامة الناس يريدون ذلك، وأن التيار يستوجب ذلك، ويقصدون بالتيار الرأي العام، أو رأي السواد الأعظم من الناس، ومتى كان الدين يخضع لرأي العوام، فما رضيه العوام، كان هو الحق!! وما كرهه العوام لم يكن من الدين في شيء !!، فسبحان الله!!! هل جاء الدين ليخضع للأهواء أم لتخضع له الأهواء؟هل جاء الحق المبين ليخضع لأمزجة الناس ومصالحهم المتضاربة ؟ أم ليخضعوا كل شيء لدين الله؟ .

أما علماء السلاطين، الذين يحلون للطواغيت ما يريدون ويستبيحون لهم ما يرغبون، فحدث عنهم ولا حرج، فكل ظالم أو طاغوت، له زمرة من هؤلاء الذين هم أخطر على الإسلام من أقطاب الجاهلية.

من هو الذي يقرر هذا حق وهذا باطل؟ هل هو أصحاب العمائم؟ أم هل هم عوام الناس؟ أم هل هم الطواغيت؟ إن الذي يقرر هذا حق وهذا باطل هو الله - عز وجل - وأن هذا من بدهيات الإسلام، التي يدركها المسلمون البسطاء، فضلاً عن العلماء، فالله تعالى يقول: { ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون }[1].

فإحقاق الحق وإبطال الباطل، من خصوصيات الله - عز وجل - وليست لأحد من دونه وصدق الله تعالى إذ قال: { الحق من ربك فلا تكونن من الممترين}[2] ولو كان الحق خاضعاً لأهواء الناس ومصالحهم، لما استقر للحق قرار، ولما بقي له أثر، ولفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وصدق الله العظيم القائل :{ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون} وقال تعالى: {إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله }.

فالحق جاء من عند الله ، لتخضع له الأهواء ، والمصالح جاء لتسيير حياة الأمم والشعوب، فلا يمكن للحق أن يخضع لأهواء الملوك والساسة ،كما يريد المهزومون والمنتفعون الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم،(يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين)[3]

[1] سورة الأنفال آية 7-8
[2] سورة لبيقرة آية 147
[3] سورة التوبة آية 62

أما أنت أخي الداعية كما علمك محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - تصدع بالحق وتجهر به (إن عليك إلا البلاغ)[1] وليس المطلوب منك إرضاء الأهواء وتحقيق الرغبات بالباطل، وليس المطلوب منك أن يستجيب الناس، وإن كان استجابة الناس من أهداف الخطيب ولكن ليس على حساب الحق، (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)[2] ،(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[3] يقول سيد قطب - رحمه الله - في الظلال في هذه الآية: " إن الحق صريح لا مداورة فيه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومن لم يعجبه الحق فليذهب، ومن لم يجعل هواه تبعاً لما جاء من عند الله، فلا مجاملة على حساب العقيدة ، ومن لم يحن هامته ويطأطئ من كبريائه أمام جلال الله، فلا حاجة بالعقيدة إليه، إن العقيدة ليست ملكاً لأحد، حتى يجامل فيها إنما هي ملك لله - تبارك وتعالى - والله غني عن العالمين والعقيدة لا تنتصر، ولا تعتز بمن لا يريدونها لذاتها خالصة، ولا يأخذونها كما هي بلا تحوير، والذي يترفع عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه لا يرجى منه خير للإسلام والمسلمين)[4]

كيف يتلكأ الدعاة عن قول الحق وعن الجهر بالحق ، وقد جعل الله تعالى أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، كما جاء في الحديث عن أبى سعيد - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :{ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر }[5]

وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - (أن رجلاً سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أي الجهاد أفضل ؟ قال : كلمة حق عند سلطان جائر)[6]

---

[1] سورة الشورى آية 48
[2] سورة الرعد آية 7
[3] سورة الكهف آية 29
[4] تسير الظلال، سيد قطب، ج4 ص 2269.
[5] رواه أبو داوود والترمذي وقال حديث حسن .
[6] رواه النسائي بسند صحيح .

هكذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوة الدعاة في كل زمن وجيل، لقد كان حرباً على الباطل وأهل الباطل، ونـاراً علـى المشركين وآلهتهم المزيفة، كـان يسفه أحلامهم ومعتقداتهم وينسف مبادئهم، وإن ما تعرض لـه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من الأذى يعكس لنا موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصلابته في إحقاق الحق وابطال الباطل ، وهو الذي قال يوم أن عاد من الطائف قبل رحلة الإسراء والمعراج مباشرة، وبعد أن رده أهلها رداً قبيحاً : (اللهم إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي)[1].

لقد خرجت مدرسة الإسلام، ولا تزال أبطالا لا يخافون في الله لومة لائم، خرجت شجاعاً لا يرضون بالدنية ولا ينامون على ضيم، خرجت أمثال ابن تيمة، الذي عذبه الطغاة، فقال: لهم إن سجني خلوة، وقتلي شهادة، ونفي سياحة في أرض الله، وخرجت أيضا العز بن عبد السلام، الذي باع الملوك في سوق النخاسة إحقاقا للحق وأبطالا للباطل، وخرجت احمد بن حنبل الذي عاش المحنة أيام المأمون، والذي أصر على رأيه رغم الأذى والعذاب الذي لحق به، ولقد بقي موقفه مثلا لكل داعية، في الثبات على الثوابت والإصرار على الحق، لقد كان مثلا لكل المخلصين الذين لم يمنعهم مانع من الصدع بكلمة الحق، وإيصالها لكل أذن ولم يمنعهم مانع من جعل الحق في نصابه والباطل في حضيضه.

فاعلموا يا دعاة الإسلام اليوم، أن الصمت عن قول الحق خيانة كبرى، وأن الاستسلام للواقع المرير كبيرة من الكبائر، وأن الأعظم من ذلك أن نماري الطواغيت وغير الطواغيت من عوام الناس، على حساب الدين أو نتملق هذا، أو ذاك على حساب العقيدة، واعلموا أيها الدعاة أن الخوف من الصدع بالحق، والوجل

---

[1] رواه الطبراني في " المعجم الكبير " ورواه ابن عدي في " الكامل " ورواه الخطيب البغدادي في " الجامع لأخلاق الراوي " (275/2) وغيرهم:
جميعا من طريق وهب بن جرير بن حازم قال : حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه به. ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة رقم/2933

من إبطال الباطل، لا يحرر شعوباً مستعبدة، ولا يحيي أمة ميتة، ولا يعيد مجدا ضائعا، ولا يبني للإسلام عزاً، واعلموا أن أمر هذا الدين لا يقوم إلا على أكتاف الأبطال، الذين نذروا أنفسهم لله، الذين يقتحمون الأهوال ولا يبالون، لا يخافون إلا من الله الذي بيده الأرزاق والآجال، واعلموا أن العلم مسؤولية كبرى وأن الله لم يكرمنا بهذا الدين حتى نغلق عليه صدورنا.

حادي عشر- سلامة اللغة:-

وأعني بسلامة اللغة ما يلي:

1) الحديث باللغة العربية الفصحى، والبعد عن الحديث بالعامية، واللهجات المحلية، لأنها أي الفصحى لغة القرآن الكريم، وهي لغة الخطباء في الماضي والحاضر، ولم تعرف الخطب بالعامية إلا في زمن ضعف الملكة اللغوية، وفي زمن الانحطاط والتخلف، ولا يخطب بالعامية إلا ضعفاء القوم، وأقلهم بضاعة في العلم واللغة، وما برح أعداء الملة يدعون إلى ترك اللغة الفصحى والتحدث بالعامية، والتشجيع عليها، لقطع صلة الناس بالقرآن ولغة القرآن، وتجهيلهم بالسنة.

2) البعد عن الألفاظ الغريبة والمصطلحات المبهمة، التي لا يفهم الجمهور معانيها أو المراد منها، والذي يتنافى مع المقصود من الخطبة، فعلى الخطيب أن ينتقي ألفاظا سهلة ومفهومة، وأن يشرح كل المفردات الصعبة التي ترد في الأدلة والشواهد، والكلام المقتبس، والتي تشكل على الجمهور، فعلى الخطيب أن ينزل إلى مستوى وعي وفهم الناس، وليس العكس فان الخطيب يخطب للناس وليس لنفسه، وإن نجاح الخطيب في الخطبة على قدر فهم الناس لها، واستيعابهم منها، واقتناعهم بها.

3) الالتزام بقواعد اللغة من نحو وصرف وتراكيب، وأن يرفع ما من حقه الرفع، وينصب ما من حقه النصب وهكذا، ولعل الضعف في قواعد اللغة هو السمة الطاغية على خطباء هذا الزمان، فالغالبية منهم يلحنون ويرفعون وينصبون دون قواعد، أو شروط، أو ضوابط .

ثاني عشر- الطول والقصر في الخطبة :-

يستحسن في الخطيب أن يقصر الخطبة ما أمكن عملا بسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الذي يقول :- " إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة "[1] وإنما كان قصر الخطبة دليلا على فقه الرجل لأن الفقيه يعرف جوامع الكلم فيكتفي بالقليل من الألفاظ على الكثير من المعاني، وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : - كانت صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قصدا وخطبته قصدا "[2] والقصد هو التوسطة والاعتدال .

ومع ذلك فالذي يحدد طول الخطبة من قصرها، هو موضوع الخطبة، فان أمكن أن يعالج موضوع الخطبة وأن تستكمل من البيان والنضج والاستدلال في ربع ساعة، فمن العيب أن تزيد المدة على ذلك، وإن كانت تحتاج إلى وقت أطول فمن الخلل أن تكون أقصر من ذلك، فالإطالة عن المطلوب ملل وتكرار بلا فائدة، والتقصير خلل يذهب ببعض الفائدة، فوجب الاعتدال بما يحقق الفائدة المرجوة.

وعلى الخطيب أن يراعي حال الناس في البرد الشديد، والحر الشديد، في الأعياد والمناسبات وعند الزحام، وأن يراعي وجود كبار السن والمرضى والصغار، وأصحاب الحوائج والمسافرين، ولقد كان - صلى الله عليه وسلم - يتعجل في الصلاة رحمة بالناس وفي خطبة الجمعة من باب أولى، قال رسول الله - صلى الله

[1] رواه مسلم
[2] رواه الجماعة إلا البخاري

عليه وسلم - :-" إني لأدخل في الصلاة و أنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه "[1]

ثالث عشر- الصوت في الخطبة:-

صوت الخطيب في الخطبة ركن أصيل فيها، وجزء رئيس من أجزائها، فمن من الله عليه بالصوت الرتيب الجميل المحبوب، فقد ملك أهم الأسباب التي تعينه على النجاح، وتقرب إليه القلوب، وتكثر من حوله الجمهور، ومن ابتلي بصوت ضغيف منفر فعليه أن يعوض هذا الخلل بحسن الأداء وجودة العرض، ونحن في هذا المقام لا نتطرق إلى الصوت من حيث جماله وحسنه أو ضعفه ورداءته، فإن الصوت موهبة من الله، ولكل إنسان صوته الذي يتميز به، ولا يستطيع أن يغيره أو يبدله، ولكن الحديث عن الصوت من حيث رفعه، وخفضه، ومن كل الأمور التي تقع ضمن قدرة الخطيب وإرادته وكل ما يملكه الخطيب من صوته.

فليس الخطيب الناجح هو الذي يخطب على وتيرة واحدة، لا تتغير من أول الخطبة حتى نهايتها، بل ينخفض صوت الخطيب ويرتفع بما يناسب العرض، ويوافق مقتضى الحال، وتبعا للجزء الذي يعرضه الخطيب، فهناك أجزاء في الخطبة تحتاج إلى صوت عال، وهناك فقرات وأجزاء أخرى تحتاج إلى خفض الصوت وهكذا، والخطيب المتمرس يدرك أين ومتى يجب عليه أن يعلو صوته وتحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، فلا يخفض صوته حيث يجب الرفع، ولا يرفع حيث يجب الخفض، وهكذا، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول " صبحكم ومساكم "[2] وليس من المستحسن مع الصوت أن يحرك الخطيب شيئا من الجوارح، وقد كان

[1] رواه الشيخان
[2] رواه مسلم

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يزيد عن الإشارة بإصبعه لا يحرك يدا ولا رأسا كما يفعل الكثير من الخطباء اليوم.

ويحسن قبل ترك مرتكزات الخطبة الناجحة أن نذكر كلام الإمام النووي - وهو يصف الخطبة الناجحة البليغة حيث، قال

" يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة من غير تمطيط ولا تقعير، ولا تكون ألفاظا مبتذلة ملفقة فإنها لا تقع في النفوس موقعا كاملا، ولا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها، بل يختار ألفاظا جزلة مفهمة " .

وكذلك كانت خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه، وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيمانا وتوحيدا، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تقيد أمورا مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانا بالله، ولا توحيدا له، ولا معرفة خاصة ولا تذكيرا بأيامه، ولا بعثا للنفوس على محبته، والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة، غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسادهم، فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا!! وأي توحيد وعلم نافع يحصل به؟؟.

ومن تأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الأيمان الكلية، والدعوة إلى الله وذكر آلائه - تعالى - التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره، وشكره الذي يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله، وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرهم من طاعته ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبهم وأحبوه، ثم طال العهد وخفي نور النبوة وصارت الشرائع

والأوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البديع، فعدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في خُطبته

اختص النبي صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم، وتلألأت من ثنايا كلامه بدائع الحكم، وكان - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أعطيت جوامع الكلم)[1] فكانت أحاديثه وخطبه تمتاز بسهولة الألفاظ، وجودة الأسلوب، وكانت تتفرد بالعبارات القليلة، التي تجمع المعاني العظيمة، بعيدة عن التكلف في الألفاظ، أو الإطناب في العبارات، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها: " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يُحَدِّث حديثاً لو عدَّه العادُّ لأحصاه "[2].

وبتتبع منهجه - صلوات الله وسلامه عليه - في خطبه، نجد أن خطبه كانت تتسم بالقصر دون الطول، بل كان صلى الله عليه وسلم يقول: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة)[3]. فقصر الخطبة علامة على فقه الرجل لكونه مطلعاً على جوامع الألفاظ، فيعبر باللفظ الموجز البليغ عن المعاني الكثيرة، فهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك هو الاعتدال في خطبته بين التطويل الممل والتقصير المخل، وفي هذا يقول جابر بن سمرة رضي الله عنه: (كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قصداً، وخطبته قصداً، يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس)[4] ومعنى (قصداً): أي متوسطة بين الطول والقصر.

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم في إلقاء الخطبة، أنه إذا اعتلا المنبر استقبل الناس وسلم عليهم، ثم يجلس، وبعد أذان بلال، يقوم ويفتتح خطبته بالحمد والثناء على الله سبحانه والتشهد، ثم يذكر الناس بنعم الله عليهم، ويصف جابر رضي الله عنه حال النبي - صلى الله عليه وسلم - أثناء الخطبة قائلاً: (كان النبي - صلى الله

[1] رواه الترمذي ، وقال : حسن صحيح
[2] رواه البخاري
[3] رواه مسلم
[4] رواه أبو داود

عليه وسلم - إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، ويقول أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)[1] .

وكان ينتقي في خطبه جوامع الكلم، فيعلم أصحابه قواعد الإسلام وشرائعه العظام، وكان يوصيهم بما يقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى ما أعده لهم من النعيم المقيم في جنته، وينهاهم عما يقربهم من سخطه وناره.

وكانت خطبه عليه الصلاة والسلام لا تخلو من الآيات القرآنية، فصح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقرأ على المنبر {ونادوا يا مالك}[2]"[3] .

وكان دائماً يضمن خطبه آيات التقوى، وصح عنه أنه كان يخطب بالقرآن حتى قرأ ذات مرة سورة - ق - كاملة على المنبر.

وكان - صلى الله عليه وسلم - يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم، فعن عمرو بن أخطب قال:" صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا "[4].

وكان صلى الله عليه وسلم يراعي أحوال الناس في خطبته، فتارة يقصر في الخطبة وهو الغالب، وتارة أخرى يطيل الخطبة عند حاجة الناس، كما ورد عنه

---

[1] رواه مسلم
[2] سورة الزخرف 77
[3] رواه البخاري
[4] رواه مسلم

ذلك في خطبة الوادع، حيث أطال فيها لما كان فيه من المصلحة، واجتماع الناس وتلقيهم.

وكان من كمال هديه - صلى الله عليه وسلم - أثناء الخطبة، أنه ربما قطعها لحاجة، كإرشاد لأمر معين، أو توجيه أو نصح لمخالف، فقطع خطبته ذات مرة تنبيهاً على ضرورة صلاة ركعتين، فعن جابر رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، إذ جاء رجل فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أصليت يا فلان؟) قال: لا، قال: (قم فاركع ركعتين)[1]،

وربما قطع خطبته رعاية لشعور الأطفال كما حصل له - صلى الله عليه وسلم - حينما نزل من المنبر ليحمل الحسن والحسين.

ثم إن من هديه - صلى الله عليه وسلم - في خطبه أنه كان يخطب بخطبتين يجلس بينهما، ولا يتكلم في هذا الجلوس، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً، ثم يقعد قعدة لا يتكلم، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى)[2].

وكان إذا انتهى من الخطبة دعا للمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة والرحمة، ثم ينهي خطبته بالاستغفار.

وكان من هديه عليه الصلاة والسلام في ذلك أنه يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الأعلى والغاشية، وتارة يقرأ بسورة الجمعة، والمنافقون.

ومما يلحق بهذا الشأن أنه - عليه الصلاة والسلام - كان لا يقتصر على إلقاء الخطبة في يوم الجمعة، بل كانت له خطب في يومي العيدين والاستسقاء، وربما خطب الناس في غير تلك المواطن بحسب الحاجة والمصلحة، والله أعلم .

---

[1] رواه البخاري ومسلم

[2] رواه النسائي

ثالثا:- الخاتمة

وهي آخر ما يتعرض له الخطيب في خطبته وهي كالمقدمة من حيث الوضوح والقصر وقوة الجذب والتأثير والبعد عن الاطالة والتفصيل، يضاف الى هذه الميزات ما يلي :

1) الخاتمة هي اجمال ما جاء في العرض وتلخيص لموضوع الخطبة في عبارات قصيرة مفهومة واضحة.

2) الخطيب الناجح هو الذي يشعر المستمعين أنه بدأ ينهي خطبته وأنه اقترب من نهايتها بحيث يومئ دون تصريح أن الخطبة قد أشرفت على نهايتها دون قوله : وأختم حديثي وأخيرا وليس أخر، أو في ختام خطبتي، بل الخطيب الناجح يوصل مضمون هذه الألفاظ من خلال تلخيص واجمال موضوع الخطبة، بشكل متناسق مع موضوع الخطبة.

3) ولما كانت الخاتمة هي أخر ما يطرق سمع المخاطبين وجب أن تكون عبارات واضحة جزلة مفهومة، حتى تعلق في أذهان السامعين، فإن نسي بعضهم العرض فلن ينسى ملخصه في الخاتمة.

4) لا يقل عنصر التأثير في الخاتمة عنه في المقدمة وأن يذكر فيها ما يصلح للخاتمة وألا تكون تكرارا لموضوع الخطبة أو ترددا لما ورد في العرض.

واذا كانت الخطبة من شقين كخطبة الجمعة فيستحسن أن تشمل الخطبة الأولى على كل أجزاء الخطبة من مقدمة وعرض وخاتمة، إلا إذا ترك الخطيب أو أخّر جزءا من عناصر الخطبة للحديث فيه في الخطبة الثانية، فعند ذلك تكون الخطبة الثانية امتداد للخطبة الأولى والتي تتضمن جزءا من العرض والخاتمة.

المبحث الثالث

سبب ضعف الخطب

تحدثنا في عنوان سابق عن سبب ضعف الخطباء، ونتحدث هنا عن سبب ضعف الخطب، ومن أهمها ضعف الخطيب، وقد تحدثنا في هذا ما يغني عن الإعادة هنا، ولكننا نضيف عوامل أخرى في ضعف الخطب، فقد يكون الخطيب كفء قادرا ناجحا، ولكن هناك عوامل وأسباب تؤدي إلى ضعف أدائه، وعدم إحسانه وتحول دون نجاحه من هذه العوامل:-

1) تقصير الخطباء وإهمالهم وعدم بذل المطلوب في الاستعداد للخطبة وتحضيرها، وجمع مادتها والاعتماد في ذلك كله على الذاكرة، والثقافة الذاتية التي لا تسعف في كل الأحيان في كل الخطب، هذا نوع من اللامبالاة في التعامل مع هذا الأمر الحساس والمهم، هو أحد أبرز أسباب ضعف الخطب عند المؤهلين القادرين المتمرسين في هذا الفن، وأصحاب الخبرة الطويلة والتجربة الناجحة، فيهملون في الإعداد المناسب وفي جمع المادة من مظانها والعودة إلى المصادر المعتبرة، وعدم كفاية التحضير، أو الانشغال عن ذلك كله في مشاغل الحياة الكثيرة، فبعض الخطباء تجار يواصلون العمل في بعض الليل مع النهار ويحضرون إلى الجمعة مع الآذان بغير إعداد حقيقي، وبعضهم يعمل سائقا لا يتوقف ولا يتفرغ إلا وقت الجمعة، وأخر مزارع أو صانع، وهكذا تشغل المشاغل عن هذا العمل الجليل.

2) عزلة الخطيب وانزواؤه على نفسه وبعده عن الجمهور، وعدم اندماجه بالناس، وعدم مشاركة الناس أفراحهم وأتراحهم ومناسباتهم، وأن يعيش في واد ومستمعيه في واد أخر، فالطبيب الناجح هو الذي يعيش مع المرضى ويشخص أمراضهم، ويصف لهم العلاج، هو الذي يعيش للمرضى ومن أجل المرضى وهكذا، وإن لم يفعل الخطيب ذلك فإنه لا يستطيع الوقوف على حاجاتهم ومتطلباتهم، واختيار

العناوين والموضوعات التي تناسب حالهم، فيتحدث في غير ما ينفعهم أو يعينهم، وفي المفضول دون الفاضل أو في غير المهم ويترك المهم، فالخطيب الناجح الذي ينفتح على الناس يصلح بينهم ويسعى في حوائجهم، ويعين ملهوفهم ويحل مشاكلهم، فان فعل ذلك سبر غورهم، وعرف أحوالهم من جهة، واحترموه من جهة أخرى، وهذا أدعى للنجاح، فان قال استمعوا إليه، وان أمر أطاعوه، وهو الأقدر على إقناع الناس واستمالتهم، لأنه بإحسانه لهم فتح القلوب المغلقة، وطرق الآذان الصم، ونحن في هذا الزمان وفي كل زمان بحاجة إلى هذا النوع من الخطباء، ولسنا بحاجة إلى المنغلقين الذين لا يعنيهم إلا أنفسهم، ولا يفكرون إلا في مصالحهم، إن خطيبا واحدا يعيش للناس خير من ألف خطيب يعيش لنفسه ومصالحه، فان هذا الفن لا يتقنه إلا من تجرد لله، وأخلص له النية، وعمل من أجل العامة، وقدم مصالح العباد على مصالحه.

3) المحيط الذي يعيش فيه الخطيب ينعكس على أدائه سلبا وإيجابا، ولا يستطيع الخطيب مهما كان أن ينفك عن المحيط الذي يتواجد فيه، ويلقي فيه خطبه، فمن كان يعيش في ظل الحرية والرخاء، وحرية التعبير، وحرية الرأي، ليس كالذي يعيش في ظل القمع والإرهاب والملاحقة، وتكميم الأفواه، فمن هيئت له الأسباب وسمح له بالحديث كما يريد ويشتهي ويحب، وكوفئ على ذلك، سيكون أكثر نجاحا وتأثيرا وحيوية ونشاطا وإشراقا من غيره من الخطباء، الذين يعيشون في جو معاكس، فالنوع الأول من الخطباء يعالج واقعا ويطرح مواضيع تمس الناس، ويجرؤ على قول الحق، وذم الباطل وأهل الباطل، وأما النوع الأخر فيضطر إلى التلميح دون التصريح، فتضيع الفكرة ولا يفهمها كل الناس، وليس الجميع يحسن بالتلميح في توصيل المراد والوصول إلى قلوب الناس، وان صرح وأبان سيتعرض لخطر الملاحقة، أو المنع من الخطبة حتى تترك المنابر لمن يزينون كل قبيح، ويحاربون كل حسن، ويسبحون بحمد الطواغيت.

المبحث الرابع:-

تحضير الخطبة وإعدادها

أولا:- اختيار الموضوع

عند البدء في إعداد الخطبة وتحضيرها، فأول ما يتبادر إلى الذهن هو موضوع الخطبة والعنوان المناسب، وهو الخطوة الأولى ومن الخطوات المهمة، فقد يتوفر للخطيب في بعض الأحيان أكثر من موضوع بل عدة مواضيع في آن واحد، وفي أحايين أخرى قد يندر وجود موضوع إلا بعد التفكير والتأمل، وقد يجد الخطيب المتمرس موضوعات عدة بينما يصعب ذلك في حق الخطيب المبتدئ، فإن كان هناك حدث جلل أو مناسبة من المناسبات الهامة، فان الموضوع في هذه الحالة يفرض نفسه على الخطيب ويريحه من عناء البحث والتفكير والتأمل، وكذلك الخطب التي ترتبط بالمناسبات الاجتماعية، كالنكاح، وخطب الأفراح، والمراثي والتهاني، وخطب القضاء، فإن هذا النوع من الخطب تفرض نفسها وتريح الخطيب من البحث في عنوان مناسب.

وهناك خطب لا ترتبط بمناسبة، أو حدث أو حالة من الحالات كالخطب الجمع مثلا، فقد يصعب على الخطيب أن يختار العنوان المناسب خاصة المحدثين من الخطباء، فعلى الخطيب أن يبحث عن الموضوع الذي تعم به الفائدة، وتحصل به المنفعة، ويحقق رسالة سامية.

وقد سبق الحديث في تحديد الموضوع المناسب ما يغني عن تكرار الحديث هنا.

إن اختيار الموضوع المناسب هو نصف الخطبة، وهو بداية النجاح والتوفيق للخطيب، وإن الخطيب المثابر قد يأخذ الخطبة من فم سائل، أو مستفسر أو من لسان مبغض أو عدو، وقد يأخذه من مجرب صاحب حكمة، أو ناصح أمين، أو من حدث يشاهده، أو خبر يسمعه، أو يقرأه من صحيفة أو كتاب، أو مجلة، وهذا يفرض

على الخطيب الناجح أن يكتب وأن يوثق كل ملاحظة ذات قيمة أو خبر مفيد، وما لا يصلح اليوم يصلح غدا، والتوثيق كنز يمنع النسيان والضياع .

قال الشاعر:

العلم صيد والكتابة قيده وثق علومك بالحبال الواثقة

فمن الجهالة أن تصيد غزالة وتحولها بين الخلائق طالقة

ثانيا :- الخطوة الثانية

بعد تحديد العنوان المناسب للخطبة، تبدأ المرحلة التالية، وهي تجميع المادة المطلوبة المتعلقة بالموضوع المناسب وذلك من مظانها ـ أي من المراجع التي يظن أنها تحدثت في الموضوع الذي جعله عنوانا لخطبته، فيأخذها من مصادرها ونبعها الصافي، وبالقدر الذي يكفيه لخطبة ناجحة، فلا يلزم الخطيب إذا أراد أن يتحدث في موضوع ما أن يعود إلى أمهات الكتب والمراجع، فالخطيب ليس باحثا يبحث عن كل ما قيل في الموضوع الواحد، بل يأخذ منه بالقدر المطلوب الذي يحقق الغرض، وبعض العلماء الأجلاء والخطباء المتمرسين قد لا يحتاجون في بعض الخطب الى العودة إلى مراجع، وإذا احتاجوا فالشيء اليسير، أما الخطباء الجدد وأصحاب الثقافة الضحلة فهم بحاجة إلى شيء من البحث، والتنقيب، والرجوع إلى بعض المصادر لإثراء موضوع خطبته.

فالمطلوب من كل خطيب أن يتوفر لديه في موضوع خطبته ما يمكنه من بنائها وصياغتها على أحسن صورة، وإلقائها على الوجه المطلوب، دون حاجة إلى مزيد من بذل الجهد سواء كانت المادة من جعبته وثقافته، أو جمعها من بطون الكتب، أو سمعها من أفواه العلماء، أو عبر وسائل المعرفة المتنوعة، وذلك دون خلل أو تقصير.

ثالثا :- على الخطيب أثناء جمع المادة أن يستوثق من الأدلة والشواهد التي يذكرها في الخطبة، وذلك بضبطها وتعيين موضوع الشاهد فيها، ومعرفة صحيحها من سقيمها، وضبط الكلام المقتبس حتى لا يفهم على غير ما وضع له.

المبحث الخامس :-

إعداد العناصر

بعد جمع المادة من مظانها ومصادرها وتوثيقها، وتوثيق الأدلة، والحجج، والبراهين، والأقوال المأثورة، والأمثال، والشعر، وكل ما يلزم للخطبة، بعد هذا كله على الخطيب أن يبدأ في اعداد العناصر المطلوبة قبل الشروع في صياغة الخطبة، وعناصر الخطبة هي بمثابة المخطط الذي يضعه المهندس البارع لتشييد بيت متكامل، فعلى جودة المخطط يتوقف جودة البناء، والمهندس الناجح هو الذي يترك بصماته الابداعية في مخططه الذي ينعكس على البناء جودة ونضارة واتقانا، ويراعى في إعداد العناصر ما يلي:-

1) الترتيب المنطقي لهذه العناصر، بحيث يقدم ما من شأنه التقديم ويؤخر ما من شأنه التأخير.

2) لا يزيد عدد العناصرعن خمسة عناصر نظرا لحجم الخطبة، وزيادة العناصر تثقل كاهل الخطيب ولا تخدم الغرض من الخطبة.

3) العناصرهي بمثابة عناوين لفقرات الخطبة، ومحطات تحمل الخطيب من عنصر الى أخر حتى يصل الى نهاية الخطبة، دون خروج عن العناصر أو استطراد أو نسيان.

أمثلة على عناصر لخطب مقترحة :-

<u>أولا-</u> خطبة بعنوان الغيبة

العناصر :-

1) تعريف الغيبة، ووصف انتشارها، واستفحالها في المجتمع.

2) خطورة هذه الآفة على المجتمع المسلم، وأثارها وتداعيتها على جماعة المسلمين.

3) التحذير من هذا المرض العضال، وذكر الحجج والأدلة التي تستقبح هذا المرض بشكل عام.

4) تحذير المخالفين والمستهترين بعاقبة هذه المعصية، ودعوة الجمهور إلى محاصرة هذا المرض، وتهيئة البيئة التي لا تسمح بانتشاره، ولا تحترم من يفعله.

ثانيا ـ خطبة بعنوان الربا

العناصر :-

1) توصيف هذه المخالفة وتأكيد وجودها في المجتمع، ووقوع الناس فيها.

2) بيان خطرها على المجتمع، وعلى الأمة بأسرها.

3) سوء العاقبة الذي تنتظر من يتعامل بالربا.

4) محاولة ارشاد المستمعين الى البدائل عن الاستثمار الربوي بالاستثمار في الشركات الشرعية، والمصارف الاسلامية التي لا تتعامل بالربا.

يلاحظ أن العناصر تتشابه اذا تشابهت المواضيع، فان كان موضوع الخطبة في المنهيات فعند ذلك تتقارب العناصر إلى حد كبير، وكذلك إذا كانت الخطبة في اطار المأمورات، وهكذا.

ثالثا ـ عنوان الخطبة حث الناس على الزكاة

العناصر:-

1) بيان منزلة الزكاة في الاسلام.

2) آثار ترك الزكاة ومضارها على المجتمع المسلم خاصة الفقراء منهم.

3) حث الأغنياء على دفع الزكوات، وتحذيرهم من تركها.

4) بيان فضل المزكين وأجرهم، وكذلك المال المزكى .

رابعا ـ العنوان ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

العناصر :-

1) منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه أكثر من النفس والأهل والمال.

2) أن نجعل منه المثل الأعلى والقدوة الحسنة.

3) ترجمة حبنا له من خلال السلوك والعمل.

4) الدفاع عنه والرد على من يسيء إليه - صلى الله عليه وسلم-.

5) تجديد العهد والبيعة له بإحياء سنته، والسير على خطاه.

خامسا ـ العنوان رياح التغيير

العناصر :-

1) من أنفسنا يبدأ التغيير.

2) الحاجة الملحة للتغير والأسباب الموجبة له.

3) كشف المفاسد وفضح السلوكيات التي تقف في وجه النهوض والتقدم.

4) تقدير واحترام كل الجهود التي تصب في اطار التغيير، وتقدير تضحيات الذين نذروا أنفسهم من أجل التغيير.

5) الاستشراف للمستقبل ودعوة الجمهور الى التعاون في الحفاظ على الانجازات التي تحققت وحماية المكتسبات.

تخضع هذه العناصر للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، تبعا لأسلوب الخطيب وطريقته في طرح الموضوع، فهي قضية اجتهادية، ولكل خطيب اجتهاده ورأيه في هذا الموضوع، مع الحفاظ على التناسق والترتيب المنطقي.

يلجأ إلى العناصر كل الخطباء في العادة، وان كانت حاجة المبتدئ إلى وضع العناصر والاهتمام بها أكبر من حاجة المتمرسين.

قد يتحدث الخطيب في الموضوع الواحد في أكثر من خطبة، وعليه في هذه الحالة أن يضع لكل خطبة عناصرها الخاصة بعيدا عن التكرار والإعادة، مع مراعاة التسلسل الصحيح والموضوعي، مثال ذلك :

عنوان الخطبة : قصة الإسراء والمعراج

الخطبة الأولى : عنوانها (بين يدي الرحلة)

عناصرها :

1) كان الغرض من رحلة الاسراء والمعراج هو تكريم شخص النبي - صلى الله عليه وسلم - والتسرية عن قلبه، ولم تكن للتحدي.
2) الزاد لهذه الرحلة.
3) الصحبة الصالحة في هذه الرحلة.
4) الوسيلة لهذه الرحلة.
5) وأنها كانت في جوف الليل.

الخطبة الثانية : عنوانها (رسول الله في بيت المقدس)

عناصرها :

1) الربط المقدس بين قبلة المسلمين الثانية والقبلة الأولى.
2) بركة الأرض المباركة (فلسطين).
3) إمامة رسول الله- صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء في بيت المقدس.

الخطبة الثالثة : عنوانها (رسول الله في السماء)

عناصرها :

1) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول رائد فضاء بحق.
2) آدم في السماء الدنيا يبكي على بنيه من أهل النار، ويسرّ لبنيه من أهل الجنة .
3) مقابلة الأنبياء في السماء.
4) ابراهيم والبيت المعمور في السماء.

الخطبة الرابعة : عنوانها (رسول الله عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)

عناصرها :

1) لقد رأى من آيات ربه الكبرى .
2) ذكر مشاهد من الجنة.
3) ذكر مشاهد من النار.

الخطبة الخامسة: عنوانها (رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة بعد الرحلة)

عناصرها :

1) ردات أفعال المسلمين على الرحلة.
2) ردات فعل المشركين وضعاف الإيمان.
3) رسول الله يفحم الخصم من خلال وصف بيت المقدس.
4) الهزات العنيفة تنقي وتغربل جماعة المسلمين من العناصر المحمولة.

هذه بعض النماذج لعناصر يمكن أن يستفاد منها في وضع عناصر لعناوين أخرى، وهناك قضايا كثيرة يمكن أن تضاف الى هذه الرحلة المباركة الطويلة التي تنطوي على الكثير من الدروس والعظات والمنافع والكنوز، وما يقال في حادثة الاسراء يمكن أن يقال في هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكذلك في غزوة بدر وفتح مكة، وغيرها من الأحداث الجسام التي تركت بصماتها في التاريخ الاسلامي، بل في التاريخ كله.

الفائدة من وضع العناصر :

1) فائدة العناصر أنها تسهل على المبتدئين عملية صياغة الخطبة وترتيبها من خلال تجزئة الموضوع وتقسيمه إلى فقرات، فكل عنصر من عناصر الخطبة لا يعدو أن يكون عنوانا لفقرة من فقرات الخطبة قائمة بذاتها، حيث يقوم المبتدئ بصياغة الفقرة الأولى ثم يخلص الى الثانية والثالثة وهكذا، حتى يتكامل لديه موضوع الخطبة بكل أجزائها، ولو بدأ بصياغة الخطبة بعيدا عن العناصر لوجد الخطيب صعوبة في الصياغة، بل قد يجد صعوبة في المدخل إلى الموضوع والبدء

فيه، والخروج منه، ولأشكل عليه الأمر، وقد يستطرد يمينا وشمالا، ويقدم ما من شأنه التأخير ويؤخر ما من شأنه التقديم وهكذا.

2) من خلال العناصر يحدد الخطيب عند الصياغة معالم خطبته، فيرى أولها، ووسطها، وأخرها قبل أن يبدأ بالصياغة، ويترتب على ذلك الوضوح وسهولة الصياغة، وحصر موضوع الخطبة.

3) العناصر تساعد الخطيب المرتجل على كيفية الدخول في الخطبة، وكيفية الاستمرار بها، وكيفية الخروج منها دون اضطراب أو استطراد أو تداخل، فهي محطات تحدد للخطيب أين وصل، وكيف ينطلق ويستمر في الخطبة حتى يخلص الى نهايتها بالشكل السليم الصحيح، كما خطط لها من خلال العناصر.

4) العناصر بمثابة المخطط الذي ينطلق منه الخطيب في بناء خطبة قوية مؤثرة، وفق المخطط المعد لها، مع جواز الخروج على تلك العناصر بما يخدم الخطبة والصياغة ويقوي البناء ويسهل المهمة، لأن العناصر هي اجتهادات الخطيب وهي تخضع للتغير والتبديل وفق ما يراه ويحتاجه الخطيب ويتطلبه موضوع الخطبة، بالقدر الذي يحافظ على المرتكزات المطلوبة في الخطبة.

يراعي في موضوع العناصر أن يبتعد الخطيب عن قوله : خطبتي هذه من كذا عنصر، أما العنصر الأول ...وأما الثاني، فلا يصح ذلك من خطيب ولا يفعله خطيب ناجح كذلك.

المبحث السادس:

صياغة الخطبة

بعض الخطباء الأكفياء يكتفون بالعناصر مع بعض الأدلة والشواهد والحجج، ثم عند الإلقاء يبدأون بصياغة هذه العناصر، والتعبير عنها بلغتهم، وأسلوبهم بما أوتوا من قدرة على الحديث والتعبير والخطاب دون الحاجة الى صياغة مسبقة لموضوع الخطبة، وهذا هو أصل الخطابة، وهي أن تحمل فكرة أو موضوعا ثم تعبر عنها أمام الجمهور وتصيغها بلغتك، وكذلك كان الخطباء في عهد السلف الصالح، وفي زمان الازدهار والعلم، وما حصل خلاف ذلك إلا في ظل الانحطاط وضعف الملكة اللغوية، وعدم القدرة على الحديث دون كراس، بل ان بعض الخطباء يستطيع أن يخطب وبشكل جيد ورتيب دون الحاجة إلى عناصر، وتراه يخطف الأبصار، ويستحوذ على الأذان، ويمتلك زمام القلوب، ويهز الأبدان بالعبارات الهادفة ذات المضمون والرسالة القوية الواضحة، كل ذلك دون عناصر، أو تحضير وهم ندرة في هذا الزمان.

وهناك خطباء كثر خاصة في هذا الزمان لا بد لهم أن يكتبوا خطبهم، ويصيغوها الصياغة المطلوبة والمتكاملة، من أولها حتى نهايتها لتصبح صالحة وجاهزة للإلقاء.

فكيف يتم صياغة الخطبة؟.

على الخطيب أن يتهيأ نفسيا عند البدء بصياغة الخطبة، وأن يترك كل الشواغل التي تشغله، أو تلهيه، أو تعكر مزاجه واستقراره، وأن يتفرغ بعقله، ووجدانه، وأحاسيسه، وأن يبتعد عن الفوضى والضوضاء في جو من الهدوء والشاعرية، لتنصب كل اهتماماته وقدراته في هذا الموضوع الجليل الهام، وأن يبدأ باسم الله

متوكلا عليه، داعيا ربه تبارك وتعالى أن يوفقه لما فيه خير الدين والدنيا، فكل أمر ذي بال لا يبدأ باسم الله فهو أبتر، أو أقطع، وفي ذلك قال الشاعر:-

ان لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يقضي عليه اجتهاده

وعند البدء في الصياغة لا بد من مراعاة ما يلي:

1) أن يعتمد الخطيب على صياغته لا على صياغة الآخرين، وأن يروض نفسه على ذلك، فلا يليق بخطيب أن يعتمد على صياغة الآخرين، مهما كانت قدرة الآخرين، لأن ذلك يجعل من الخطيب قارئا وليس خطيبا، ومتواكلا وليس متوكلا، وإذا كان الملوك في هذا الزمن يكتب لهم الخطب، فلأنهم ملوك عندهم الكثير من المشاغل، ولهم من الخبراء والمتخصصين والمستشارين الذين يكتبون لهم، ولأن خطبهم تمس الجميع ويتعلق بها مصير الأمة، بخلاف غيرهم من المواطنين، فعلى كل خطيب أن يترك بصماته في خطبته التي تنسب اليه، فليس النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة.

2) يبدأ الخطيب ببيان وتفصيل وتوضيح ما أجمله في العناصر التي وضعت مسبقا، وأن ينتقي لذلك المفردات الجزلة، والألفاظ السهلة المفهومة، والعبارات القصيرة التي تناسب الخطب، وأن يبتعد ما أمكن عن العبارات الطويلة التي لا تناسب الأسلوب الخطابي الإلقائي، مستبعدا كل المفردات الصعبة الغريبة، ومستبعدا العبارات الجارحة والجافة، مراعيا في ذلك مشاعر المستمعين، وثقافتهم، ومستواهم العلمي، وقدرتهم على الفهم والاستيعاب.

3) لا يمنع بل يفضل أن يبدأ بكتابة مسودة الخطبة، ثم يعيد كتابتها النهائية بعد ذلك مستوفيا كل العناصر، وأن يبدأ بالعنصر الأول حتى يخلص منه الى العنصر الثاني، والثالث حتى يصل الى ختامها، وأن يراعي في ذلك المقدمة ذاكرا فيها ما يناسبها، ثم العرض فالخاتمة، وما يصلح لهما وينسجم معهما.

4) ولما كانت الخطب رسائل تخاطب العواطف أكثر مما تخاطب العقول والألباب، فعلى الخطيب ألا يغفل هذا الجانب المهم، حتى يترك آثاره وبصماته في الجمهور، وأن يحسن مخاطبة العواطف الجياشة حتى يحركها لنصرة الفكرة التي يدعو إليها، ويكسب قلوبهم، ويحقق الغرض المطلوب من خطبته، وأن يبتعد الخطيب ما أمكن عن المصطلحات التي تحتاج الى إعمال العقل وبذل الجهد، حتى تفهم أو تستوعب، فليس هذا مكانه الخطب، بل الخطب أبسط من ذلك وأيسر.

5) كل خطيب أدرى بجمهوره، ويعلم أي العبارات والألفاظ الأكثر تأثيرا فيه، فعليه أن ينتقي أقرب المفردات الى قلوب الناس، وأيسرها عليه، وأحبها إلى سمعه، فكل ذلك يعينه على النجاح، والوصول الى القلوب، واستمالتها لصالحه.

6) بعد إتمام صياغة الخطبة ووضع اللمسات الأخيرة عليها، لا يمنع أن يعرضها على خطيب آخر، ويستحسن ذلك من المبتدئين منهم، وأن تعرض على من هو أعلم منه وأكثر خبرة في الخطابة وفنها، حتى يستفيد من خبرته وعلمه وتجربته، ولا يمنع كذلك من عرضها على أهل اللغة حتى يستفيد منهم في الحركات والإعراب، وتشكيل مفرداتها، لأن ذلك أبعد عن اللحن والخطأ، وكذلك استبدال الغريب منها بألفاظ سهلة ومفهومة.

المبحث السابع :-

الإلقاء

التحضير الجيد والإعداد الناجح من الأمور المهمة في الخطابة، والأهم من التحضير هو الالقاء الناجح المؤثر في النفوس، فأي خلل أو نقص في التحضير يمكن معالجته في إطار الإلقاء الجيد، ولكن لا يمكن معالجة الخلل الحاصل في الإلقاء، لذلك وجب على الخطيب الناجح المثابر أن يولي الإلقاء الاهتمام الأكبر، ولست أنتقص من أهمية التحضير والاعداد، لأن الخطبة الناجحة هي التي تجمع بين التحضير الجيد، والإلقاء المؤثر الناجح.

المطلوب من الخطيب عند الالقاء:

1) أن يوجه الخطيب فكره وذهنه ووجدانه ومشاعره نحو هذه المهمة الجليلة، وأن يجعل منها شغله الشاغل، فلا يشتت فكره في أمور أخرى، بل عليه أن يأتي إلى الخطبة هادئ البال، واثق النفس، رابط الجأش، متماسك القوى، لا تأخذه رهبة أو خوف.

2) أن يصل الى المكان المراد القاء الخطبة فيه في الوقت المناسب، وليس بعد الوقت كما يفعل بعض الخطباء المستهترين بهذا العمل الجليل، والذين كثرت مشاغلهم، فلا يعطون هذه المهمة إلا فضول أوقاتهم في التحضير والاستعداد، ثم عند الإلقاء كذلك، ولا يصلح لهذه المهمة ولا ينجح فيها النجاح المطلوب المؤثر الا من أعطاها حقها من الاهتمام، والوقت الكافي.

3) على الخطيب أن يرتب هندامه وأن يحسن هيأته، وأن يهتم بملابسه التي يواجه بها الجمهور، وأن يبدو أنيقا نظيفا بالقدر الذي يفرض على الناس قبوله واحترامه، وحتى لا يكون موضع تندر وسخرية من الجمهور، ولو حصل ذلك لكان بداية الفشل، وهو نوع من الاستهتار الذي يتجنبه صاحب المروءة.

4) ألا يظهر عليه علامات الخوف والوجل والهيبة من المنابر عند الحضور إليها، كما هو الحال عند المبتدئين، أو بعض المبتدئين الجدد على هذه المهمة، الذين تصطك أسنانهم، وترتجف فرائصهم، وتتسارع دقات قلوبهم، وتصفر وجوههم، كأنما يساقون إلى الموت، لهول الموقف وثقله على من لا يملك الجرأة الكافية لذلك، فعلى الخطيب أن يهون على نفسه، وألا يفترض أنه مركز الكون، والكل يدور في فلكه، أو ينظر إليه، بل الأمر أهون من هذا، وأن يعتقد أنه لن يغير بخطبته مسار التاريخ، ولن يقيم خلافة الإسلام، بل إن نجاحه في رباطة جأشه، وثقته بنفسه، واستعداده النفسي لتحمل هذا الموقف، وان وجد في نفسه شيئا من الرهبة فهو أمر عادي وطبيعي ولكن ألا يظهر ذلك عليه، وألا يؤثر على أدائه وإلقائه، وأن يدرك أن كل بداية صعبة، ثم تهون وتسهل بعد كل مرة .

أنواع الالقاء :-

تختلف طريقة الالقاء من خطيب لأخر، ومن شخص لأخر، وهي لا تتعدى أنماطا ثلاثة، وهي:

1) طريقة الارتجال .

2) طريقة القراءة من ورقة أو كراس خاص.

3) طريقة الجمع بين الطريقين .

لكل طريقة من طرق الالقاء الثلاثة حسناتها، وميزاتها، ثم سيئاتها، لذا سأتناولها بشيء من الذكر والتفصيل:-

أولا- الارتجال :

في هذه الحالة يعتمد الخطيب على قدرته في التعبير وسعة اطلاعه وثقافته، وجرأته في مواجهة الجمهور، فيلقي خطبته على الجمهور من أولها الى أخرها

دون الحاجة الى شيء مكتوب، وهذا النوع من الخطب له حسنات، وعليه سيئات ومآخذ.

حسنات الارتجال:

1) الخطب الارتجالية أكثر تأثيرا في نفوس المستمعين من الخطب المقروءة، التي تلقى من كراس، وأكثر وصولا إلى قلوب الجماهير، والخطيب المرتجل أقدر على إقناع الجمهور واستمالته من غيره من الخطباء، ذلك لأنه يجول بناظريه في جمهور المستمعين ويستقرئ علامات الرضا والقبول في الجمهور، فيتجه بهذا الإحساس في الاتجاه الأفضل والأكثر تأثيرا ونجاحا، وقديما قالت العرب " العيون مغاريف الكلام " اذ ينطق الخطيب ويتكلم من وحي ما يرى ويشاهد في الجمهور، وتأثر الجمهور وتفاعله مع الخطيب.

2) الخطيب الذي تعود الارتجال واشتد عوده وروض نفسه عليه، هو بحق خطيب المفاجأت الذي بمقدوره أن يواجه كل عارض، ويعالج كل حدث جديد طارئ، ويتحكم في خطبته زيادة ونقصا، وتبديلا وتعبيرا بما يناسب كل طارئ وعارض، فليس هناك ما يقيده كما هو الحال في الخطيب القارئ، الذي تقيده ورقته، ويصعب عليه الخروج عليها، بل إن بمقدور الخطيب المرتجل أن يخطب في الأزمات الطارئة، دون الحاجة إلى إعداد أو تحضير عندما يفاجئ بحدث طارئ، وليس بمقدور القارئ فعل ذلك، أو يصعب عليه ذلك.

3) الخطيب المرتجل أكثر قدرة وجرأة على مواجهة الجمهور من غيره، وأكثر مقدرة على التعبير والحديث وصياغة الأفكار والموضوعات من غيره من الخطباء الآخرين.

4) الخطيب المرتجل ليس أسيرا للورقة كما هو الحال مع الآخرين، بل هو أسير فكره الواسع وخياله الرحب، وقدرته على الحديث وجرأته في مواجهة الجمهور وثقته بنفسه.

5) الخطبة المرتجلة تعبر عن صاحبها، وتعكس شخصيته، وتنبىء عن قوته من ضعفه، وجرأته من عدمها، بخلاف الخطبة المكتوبة التي ليس بالضرورة أن تعبر عن شخصية ملقيها وقدرته، لأنها لا تحتاج إلى أكثر من قارئ.

سيئات الارتجال

لا تخلو الخطب المرتجلة من سيئات، ولا ينجو الخطيب المرتجل من أخطاء، وهذا شأن كل عمل بشري فهو عرضة للنقص والخلل، ومن عيوب الارتجال، ما يلي :

1) آفة النسيان :

فالخطيب المرتجل يعتمد على الذاكرة، وهي عرضة للنسيان، فينسى الخطيب بعض الأفكار الرئيسية في خطبته، وقد ينسى بعض العناصر المهمة، وقد ينسى بعض الأدلة والحجج والبراهين والشواهد، التي تعينه في العادة على تعميق معاني الخطبة، فيحصل بنسيانها نوع من الخلل والعيب الذي قد يلاحظه بعض الخواص من الجمهور، وهذا المرض يصاب به بعض المرتجلين وليس بالضرورة أن يصاب به الجميع.

2) ضعف الصياغة عند بعض المرتجلين، خاصة المبتدئين منهم :

فالخطيب المرتجل يقف بين يدي الجمهور بمجموعة من العناصر والأفكار، يصوغها ببديهته بين يدي الجمهور، ويعبر عنها بأسلوبه فقد يعتري هذه الصياغة شيء من الضعف بسبب قلة التجربة، أو ضعف الجرأة، أو ضعف الملكة اللغوية،

أو ضعف في القدرة على التعبير عند بعض الخطباء، فينعكس هذا الوهن والضعف على الخطبة، وهي تصيب البعض من المرتجلين.

3) يقع بعض الخطباء المرتجلين في آفة التقديم والتأخير، فيقدمون ما يجب تأخيره، ويؤخرون ما يجب تقديمه، أو يقع في حالة من الاضطراب والفوضى وسوء الترتيب، بسبب الاعتماد على الذاكرة، التي لا تسعفه في كل وقت، وقد يزداد هذا الخلط عند المبتديئين فتضيع الفكرة وتقل الفائدة، وبعض المرتجلين قد يرتج عليهم الى حد الانقطاع عن الكلام والمواصلة، كما جرى للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما قام يخطب في الناس بعد أن ولي الخلافة.

4) الأخطاء النحوية واللفظية التي هي آفة الخطب المرتجلة، لضعف ثقافة الخطيب فيما يتعلق بالإعراب والبناء والصرف، بخلاف الخطب المكتوبة التي يمكن ضبط اللفظ والحركات فيها قبل الحضور للخطبة، فيقل فيها الخطأ بالمقارنة مع الخطب المرتجلة.

5) الاستطراد: وهو أحد أمراض الخطباء المرتجلين، والاستطراد هو: الخروج عن الموضوع الذي أعده الخطيب للحديث فيه، فيشرق الخطيب ويغرب، ويبتعد عن موضوع الخطبة الأساسي في بعض الأحايين، وهو مرض يسهل اكتشافه من جمهور المستمعين، حيث يلمس غالبية الناس أن المتحدث قد خرج عن الموضوع وغرد بعيدا عنه.

6) لا يتقيد الخطيب المرتجل بزمن معين فقد يقع منه التطويل الممل، او التقصير المخل، بخلاف الخطيب القارىء الذي يأسره النص المكتوب ويقيده في زمن محدد واضح.

7) الخطب المرتجلة أصعب على نفس الخطيب من الخطب المكتوبة، وليس كل الخطباء يحسن الارتجال أو يستطيعه، بينما كل خطيب يستطيع أن يقرأ الخطبة المكتوبة، لذلك جعلت صعوبة الارتجال من السيئات لأنها تقف حائلا ومانعا لبعض الخطباء من التفكير فيه أو خوض غماره، ولولا ذلك لجعلتها من حسنات الارتجال.

هذه بعض آفات وأمراض الارتجال التي يصاب بها بعض المرتجلين وليس كلهم، وقد تتفاوت الإصابة بهذه الأمراض من خطيب لآخر.

ثانيا - الخطب المكتوبة :

طريقة الالقاء الثانية هي كتابة الخطبة على أوراق وإعدادها إعدادا جيدا، وصياغتها محكمة، وتشكيل كلماتها في جو من الهدوء والاستقرار، وفي متسع من الوقت يسمح بالتغيير والتبديل والإضافة والنقصان، ثم يأتي بها الخطيب ويلقيها على جمهور المستمعين، يقرؤها من أول كلمة الى أخر كلمة.

قد لا يزيد عليها ولا ينقص سوى ما يذكره الخطباء في القضايا الدينية، كالجمعة والأعياد من زيادة الحمد والثناء، والصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتواصي بالتقوى، والدعاء للمسلمين في نهاية الخطبة، وسوى ذلك يقرأه من خطبته المكتوبة، وهذا النوع من الالقاء يكاد يكون الغالب على خطباء هذا الزمان لأسباب كثيرة سبق الإشارة إليها.

والخطب المكتوبة لها حسنات، ومميزات ولها سيئات، ومآخذ وعيوب .

أما حسناتها :-

1) تمتاز الخطب المكتوبة بجودة الصياغة والتعبير، وحسن الألفاظ وجزالتها لأن الخطيب الكاتب يعدها في جو من الهدوء والاستقرار، بعيدا عن الضوضاء والمؤثرات، أما الخطيب المرتجل فلا يتأتى له ذلك، بل تنساب الفكرة على شفتيه بين يدي الجمهور في صورتها الأولى والأخيرة.

2) يبتعد الخطيب القارئ عن آفة النسيان، لأن علمه بين يديه مكتوب وليس في ذهنه الذي يعتريه النسيان، فلا يستطرد الخطيب القارىء ولا يقدم أو يؤخر أو يزيد أو ينقص، لأنه أسير ورقته، وإن كان التزامه بالمكتوب نوع من العيب والنقص في بعض الأحيان لكنه يعالج أمراض أخرى كثيرة منها النسيان وغيره.

3) ضبط الكلمات من حيث النحو والإعراب والبناء والصرف، بشكل أفضل من الارتجال، وقد تسمح له الكتابة بإشراك الآخرين في التحضير، وضبط الكلمات من أهل العلم والاختصاص، وهذا لا يحصل للخطيب المرتجل.

4) الخطيب القارئ يستطيع أن يلتزم بالوقت المناسب، ولا يخرج عليه لأنه ملتزم بقدر معلوم من الكلمات المكتوبة بين يديه، بخلاف الخطيب المرتجل.

5) توفر الخطب المقروءة على الخطباء القارئين كثيرا من الجهد والحرج، لاعتماده على المكتوب وليس على علم الألباب والقلوب، بخلاف الخطيب المرتجل، ولو كان عبد الملك بن مروان يقرأ خطبا على المنابر لما شابت عوارضه، وإنما شيبه صعود المنابر مرتجلا لا قارئا.

6) هي أيسر وأسهل على نفس الخطيب وعلى نفس الإنسان من الارتجال، والإنسان يؤثر الراحة والدعة على المشقة وركوب الأهوال، ويريح نفسه عناء الإرتجال.

سيئات الخطب المكتوبة :

1) من سيئات الخطيب القارئ ضعف قدرته في التعامل مع المستجدات ومعالجة القضايا الطارئة، والأحداث التي تأتي على حين غرة،، وضعفه في مواجهة المفاجآت التي تعترض الخطيب، وذلك لاعتماده على الأوراق وتعوده عليها، والتي تبعث في نفسه نوعا من الاتكالية، فلا يستطيع أن يتحدث بلا تحضير أو كتابة مسبقة، أو يجد صعوبة في ذلك بخلاف الخطيب المرتجل.

2) ضعف قدرة الخطيب القارئ في التعبير والصياغة أمام الجمهور، وذلك في الغالب لعدم تعوده على ذلك، وهذا عيب ومرض يصاب به الخطيب القارئ.

3) قد ينشغل الخطيب القارئ في أوراقه وخطبته المكتوبة عن الجمهور، فلا ينظر إليهم إلا نادرا، فيفوت عليه فرصة تفاعل الجمهور معه، كما يفوت عليه القدرة على استنهاض الجمهور وحضوره معه أثناء الإلقاء، من هنا كانت الخطب المكتوبة أقل أثرا وتحفيزا للجمهور، وأقل إقناعا واستمالة له، بسبب انشغال الخطيب عن الجمهور في أوراقه، والذي يجعله أحيانا في واد والجمهور في واد أخر.

4) الخطب المقروءة ليست هي الأصل في الخطابة، وإنما جاءت متأخرة، وكان سببها ضعف العلوم جملة وتراجع المستوى الثقافي، وضعف القدرة على الخطابة عموما، وأن الأصل في الخطابة الارتجال والمشافهة.

5) الخطب المقروءة لا تعبر بالضرورة عن شخصية صاحبها، وقدرته على المواجهة، ولا تبرز شخصية الخطيب وسعة اطلاعه وجرأته في المواقف الصعبة

والحاسمة، بخلاف الخطب المرتجلة التي تعبر عن شخصية صاحبها، ومدى جرأته وثقافته وقدرته.

6) الخطب المقروءة تخرج قراء يحسنون القراءة أمام الجمهور، وليس بالضرورة أن يحسنوا الخطابة، ولا تخرج في الأغلب خطباء أكفياء متمرسين، بخلاف الخطب المرتجلة التي تخرج خطباء محترفين ومتكلمين بارعين قادرين على استنهاض الجمهور وتحريكه، وإحداث ثورة في أعماق المستمعين، لذلك لم يبرز من الخطباء الذين تركوا بصماتهم في الجماهير وأحدثوا انقلابا في حياة الناس، وعلا نجمهم في هذا الفن حتى بلغوا الأفاق، ودوت أصواتهم بفعل الوسائل الحديثة في كل جنبات الأرض، ولا زالوا أعلاما في هذا الفن ومثلا يحتذى إلا من الخطباء المرتجلين.

ثالثا :- الجمع بين الطريقتين

وهناك طريقة ثالثة تجمع بين الطريقتين، وذلك بالمزاوجة بين الارتجال والقراءة، فبعض الخطباء يكتب عناصر الخطبة، وبعض الأدلة والشواهد يستعين بها في خطبته، وبعض الخطباء يضيف الى العناصر والشواهد والأدلة بعض الكلام المقتبس أحيانا، وبعض العبارات المؤثرة التي تعين الخطيب على الاقناع والنجاح، وهناك من الخطباء من يكتب غالبية الخطبة ولا يرتجل إلا في مواضع محددة، فمن كان يكتفي بالعناصر وبعض الشواهد، فهو أقرب إلى الارتجال منه إلى القراءة، ويكاد يحظى بكل حسنات ومآثر الارتجال، ومن كان من الخطباء لا يكتفي بالعناصر والأدلة والشواهد ويكتب بعض العبارات المؤثرة وقد يزيد على ذلك حتى يكتب الخطبة كلها فيقرأ منها ويرتجل بعضها فهو أقرب الى الخطيب القارىء منه الى الخطيب المرتجل، ويحظى بحسنات القارئ وبعض سيئاته.

ومن حسنات هذا النوع من الخطب اضافة الى ما ذكر في حسنات النوعين الأولين ما يلي :

1) هذا النوع من الخطب يعالج عند المرتجلين آفة النسيان، والاستطراد، والتقديم والتأخير، كما يعالج آفة اللحن في بعض الأدلة، والشواهد، والحجج.

2) يساعد هذا النوع من الخطب في ضبط الوقت أكثر من الارتجال، لوجود معالم ومحطات تضبط تسلسل الخطيب، وانتقاله من عنصر الى آخر.

3) هذا النوع من الخطب يعطي صاحبه قدرة أوسع على مواجهة الطوارئ، والمفاجآت من الخطيب القارىء.

4) يحظى هذا النوع من الخطب بحسنات الارتجال، ويفوقه أحيانا في معالجة بعض الأخطاء التي يقع فيها الخطيب المرتجل، خاصة في الخطيب الذي يقتصر على كتابة العناصر والشواهد.

أي أنواع الإلقاء أفضل

بعد بيان أنواع الخطب بشيء من التفصيل وبعد ذكر الحسنات والسيئات أوبعضها، نخلص الى السؤال التالي بـ

أي أنواع الإلقاء أفضل ؟

أو ما هي النصيحة اللتي يقدمها الكاتب لأهل هذا الفن، أو المبتدئين الذين يطمعون أن يصبحوا من رواد هذا الفن، ويعشقون صعود المنابر، ويرغبون في ولوج هذا المعترك، والغوص في بحره المتلاطم.

إن من طبيعة النفس البشرية أن تسعى للأفضل، وتطمع في الأحسن، وتهفو للنجاح والتقدم، لكن هذه الرغبة لا تتأتى بالأماني، أو مجرد الرغبة أو هوى النفس، بل لا بد أن يصاحب هذه الرغبة وهذا الطموح الأخذ بأسباب النجاح، والسعي من

أجل ذلك، وأن يعد نفسه لكل أسباب التحمل، وركوب الصعاب والأهوال، وبذل الجهد وترويض النفس، وإلا كان شأنه ما قال فيه الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مشاكلها ان السفينة لا تجري على اليبس

وقال آخر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

فمن كان من الخطباء يريد النجاح في هذا الفن، وكان يتمتع بشيء من الجرأة في المواجهة، وذا قدرة على تقليل الأخطاء، وسليما معافى من عاهة النسيان، وقادرا على مواجهة الجمهور، ولا تمنعه الرهبة من ذلك، وصاحب ثقافة مقبولة، ويحظى بملكة لغوية تعينه على التعبير والحديث، وترجمة الأفكار والمعاني الى كلمات، وألفاظ وجمل وعبارات مؤثرة، فالأفضل له أن يكون خطيبا مرتجلا، وأن يتحرر من عقدة الورقة، فمن أحسن العوم والغوص لا يحتاج الى قارب يحمله.

أما من أصيب بآفة النسيان، ولا يقوى على مواجهة الجمهور مرتجلا، ولا يملك الجرأة التي تعينه على ذلك، ولا يسعفه علمه، وسعة اطلاعه على القيام بهذا الفن مرتجلا، بسبب ضعف ملكة التعبير، ولا يريد أن يكابد مشاق الارتجال، وآثر السلامة والراحة، فهو مدعو أن يكتب خطبته وأن يحسن صياغتها، وأن يلتزم بها في بداية الأمر، وأن يسعى للتحرر منها لاحقا، سأذكر بعض الامور التي تعين على التحرر من عقدة الورقة.

أما من كان يجد في بدايته صعوبة في الارتجال الكامل بسبب رهبة المنابر، وضعف الجرأة والخوف من النسيان والخطأ، فينصح بكتابة العناصر والشواهد، وبعض الأدلة والحجج بالقدر الذي يعينه على النجاح، وتحقيق المقصود من الخطبة.

كيفية التحرر من الورقة

إن صاحب الإرادة القوية لا يقف أمامه عائق، ولا يمنع وصوله مانع، ولا يتوقف عند حد من النجاح والتقدم، وإن صاحب الهمة والعزيمة لا يرضى باليسير، ولا يقنع بالقليل من النجاح، بل هو دائم التطلع إلى أعلى، دائم السعي إلى الأفضل والأحسن، اتقانا وجودة وإبداعا، متمثلا قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "[1]

ومتمثلا قول الشاعر المتنبي :

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فمن بدأ حياته الخطابية قارئا ويريد اليوم أن يتحرر من هذا القيد، ويتخلص من هذه العادة، وكان صاحب إرادة قوية وهمة عالية، فالأمر ميسور وسهل، أما إن كان لا يطمع في ذلك، ولا يفكر في ترك أوراقه، ولا تسعفه إرادة، ولا تعينه شخصيته، وتقعد به نفسه تثبطه، فعليه بأوراقه وعادته، وكل نفس وما اعتادت.

أما النوع الاول فعليه أن يبدأ بالخطوات التالية حتى يتخلص من الورقة:

1) أن يبدأ في التخلص من الأجزاء التي يحفظها من خطبته عن ظهر قلب، والتي لا يخشى أن ينسى شيئا منها، أو يلحن فيها كالنصوص المقتبسة من القرآن والأحاديث والشواهد الأخرى، حتى يتعود الارتجال ولو في البعض اليسير من الخطبة، فان أحسن ذلك ونجح فيه، عليه بعد ذلك أن ينتقل الى الخطوة التالية.

2) أن يتخلص من بعض العبارات التي يفهما ويحفظ معناها، ويمكنه أن يعبر عنها بلا كتابة، وأن تكون في مكانها من الخطبة، وأن يكتفي في كتابة الخطبة بالإشارة إليها دون كتابتها، وعند الإلقاء يرتجلها دون قراءة، أو أن يكتبها ولكن عند ذكرها

[1] أخرجه أبو يعلى والطبراني، وقد صححه الألباني في الصحيحة

أن يرتجلها وهو ينظر الى الجمهور فان نجح في هذه الخطوة أن ينتقل الى الخطوة التالية.

3) أن يكتفي بكتابة العناصر والشواهد والأدلة، وبعض العبارات المؤثرة القوية، ويعبر عن بقية الخطبة مشافهة وارتجالا، ومن نجح في ذلك انتقل الى الخطوة التالية.

4) أن يتخلص من العبارات القوية المؤثرة، وأن يكتفي بذكر العناصر والشواهد والأدلة فقط، ولا يزيد على ذلك، ومن بلغ هذه الخطوة ونجح فيها فهو خطيب مرتجل، يسهل عليه التخلص من عقدة الأوراق والخطب المقروءة، ومن عجز أن يتخطى مرحلة من هذه المراحل فعليه أن يكرر التجربة، وألا ييأس وأن يجتهد ويثابر، فان الطفل الذي يبتدىء الخطى يسقط مئة مرة، ولكنه لا يتوقف عن المحاولة، ويمشي في نهاية المطاف ويسعى، بل يسابق الريح بعد ذلك، والله ولي التوفيق.

الفصل الثالث

المخطوب فيه - الجمهور -

الجمهور :

الجمهور هو العنصر الرئيس في موضوع الخطبة، وهو المستهدف منها، وهو المقصود بها، فإن هدف كل خطيب هو الجمهور وتعليم الجمهور، وتحريك الجمهور، ودفعه إلى التغيير والتبديل واستنهاضه، والتأثير فيه، فعلى الجمهور ينصب جهد الخطباء واهتمامهم، فمن أجل الجمهور وجدت المنابر ووجد الخطباء، ومن أجله كانت الخطب، وما الخطباء إلا وسيلة لخدمة الجمهور والرقي به، والنصح له، ولم تكن الخطب يوما لذات الخطب، ولا لذات الخطباء.

من هنا وجب على كل الخطيب قبل كل شيء وقبل كل خطبة وحديث، أن يكون ملما بحال المخاطبين مطلعا على أعرافهم، وتقاليدهم وميولهم وانتماءاتهم، وظروفهم، وثقافتهم، حتى يدرك كيف يتعامل معهم ويعالج أمراضهم، ويحارب سلبياتهم، وحتى يعلم من أين تؤكل الكتف، وكيف يدخل الى القلوب، ويقنع الناس ويحقق الغرض، فالخطيب طبيب لا يصل إلى العلاج الناجع دون معرفة المريض، وحالة المريض ودون تشخيص المرض، والوقوف على أسبابه، وتداعياته للعمل على محاصرته، ومحاصرة آثاره، ثم استئصاله، لذلك بعث الله تعالى الرسل عليهم السلام في كل قوم من أنفسهم، فمن شأن ذلك أن يكون الرسول على دراية بقومه، يعرفهم ويعرف أحوالهم، ويطلع على شؤونهم، يعرف مداخل القلوب، وما يناسبها ويصلح لها، بصورة هي أفضل من الغرباء، وفي ذلك قال تعالى:

"ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أني لكم نذير مبين "[1]

" وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"[1]

[1] سورة هود 25

" وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره "[2]

" وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من غله غيره"[3]

والجمهور ليسوا سواء، منهم المعادي للخطيب، والمناوئ له، ومنهم المحايد، ومنهم المؤيد للخطيب، ومنهم المثقف والمتعلم والواعي، ومنهم من ليس له علم أو ثقافة، ومنهم الكبير والصغير، وقد يكون الجمهور من النساء فقط، أو من طبقة معينة في المجتمع من التجار مثلا، أو الصناع أو المحاربين أو الطلاب، وقد تكون الخطبة في مناسبة سارة، أو غير سارة، أو في حدث ايجابي أو سلبي، أو تهاني أو تعازي، وقد تكون الخطبة في جو مريح مقبول، وقد تكون خلاف ذلك في جو من الخوف، والرعب، والبرد، أو الحر.

ولكل حالة من هذه الحالات ما يناسبها من الخطب، وعلى الخطيب أن يكون عارفا بالجمهور مطلعا على أحواله، حتى يخاطبه بما يناسبه، ويليق به ويؤثر فيه، فالخطيب لا يلقي خطبته في الهواء، ولا في البيداء، ولا في البراري والقفار، ولا في الشوارع أو للحيطان، بل في جمهور من الناس وهو ينجح بالقدر الذي يؤثر فيه ويقنعه، ثم يستميله إلى الفكرة التي يتحدث فيها، أو أنه يريد أن يؤدي واجب عزاء، أو هناء فعليه أن ينجح في تبليغ رسالته، والوصول إلى مقصوده.

الجمهور المعادي

إذا كان جمهور المخاطبين أو جله من المعادين للخطيب، أو المتحاملين عليه أو المناوئين له، فان هذا النوع من الجمهور يفرض على الخطيب نوعا خاصا من الخطب التي تناسب الحال، ومهمة الخطيب في هذه الحالة أصعب وأعقد من مهمته في جمهور آخر، فعلى الخطيب في هذه الحالة أن يسعى وأن يجتهد لإزالة حالة

---

[1] سورة هود 50
[2] سورة هود 61
[3] سورة هود 84

العداء، ونقله إلى الحياد، ثم العمل على اقناعه بما يدعو إليه الخطيب، ثم استمالته لموضوع الخطبة، وهذا يفرض على الخطيب قدرة على الاقناع، وحشد الأدلة والحجج العقلية والمنطقية، وقد لا تنفع الأدلة الشرعية في أناس لا يؤمنون بها، ولا يقيمون وزنا لها، وقد يحتاج الخطيب الى عشرات أومئات الخطب للتأثير في مثل هذه الحالة، ولا ينفع في مثل هذه الحالة الأمر والنهي، أو الارشاد والتوجيه الذي ينفع في المؤيدين فقط.

الجمهور المحايد

أما في الجمهور المحايد فالمهمة أقل مشقة وتعقيد من الجمهور الأول، لكن هذا الجمهور يفرض على الخطيب أسلوبا خاصا يليق مع هذا الجمهور، وينفع معه ويصلح له - فلكل مقام مقال - ومهمة الخطيب هنا هي محاولة كسب الجمهور أو بعضه لبعض ما يدعو اليه الخطيب واقناعه به.

الجمهور المناصر

أما إذا كان الجمهور مناصرا للخطيب فالمهمة أيسر وأسهل على الخطيب، لأن الجمهور في هذه الحالة مهيأ للتلقي والاستجابة، والتأثير والتفاعل مع الخطيب، وما على الخطيب الا أن يخاطبه من وحي هذا الفهم، وهذا القرب، فيمكنه أن يأمر وينهى، ويوصي ويوجه، وهكذا.

ثقافة الجمهور

أما من حيث ثقافة الجمهور وتنوع هذه الثقافات، فعلى الخطيب أن يأخذ ذلك في الحسبان، وأن يراعي هذا التفاوت، فمن كان يخطب في البرلمانات، أو مجالس الشعب ليس كالذي يخطب في جمهور من العامة جلهم من الأميين، فلا يجوز أن يخاطب هؤلاء وهؤلاء بنفس اللغة، أي بنفس الخطبة، والعرض والعبارات، ومن كان يخاطب أساتذة ومثقفين لا يخاطبهم كمن يخاطب العوام، ومن يلقي خطابا في

نقابة المهندسين، أو نقابة الأطباء مثلا، ليس كمن يتحدث في جمهور من البسطاء، فهذا الجمهور له لغته وعباراته وموضوعاته، ولهذا لغته وموضوعاته، ومخاطبة هؤلاء بلغة أولئك خلل، لا يقل عن خلل مخاطبة أولئك بلغة هؤلاء.

النساء

أما من حيث الجنس فمن يخاطب النساء اللواتي يتصفن بالوداعة واللين والحياء، ليس كمن يخاطب الرجال، الذين يتميزون بالصلابة والشدة والعقلانية، فوجب التفريق بين هذا الجمهور، وذاك الجمهور، فالنساء لهن اهتماماتهن، وللرجال اهتماماتهم، والرجال يخاطبون ويتأثرون بلغة العقل أكثر من لغة العواطف، بخلاف النساء اللواتي تتأثر بالعواطف ولغة العواطف أكثر من لغة العقول.

من حيث الأعمار

أما من حيث السن والعمر فمن تحدث في صغار من الطلاب، ليس كمن يتحدث في الكبار منهم، فمن السذاجة أن تخاطب الكبار بلغة الصغار، ومن المشقة والصعوبة أن تخاطب الصغار بلغة الكبار، وهكذا.

مناسبة الخطاب

أما في مناسبة الخطاب، فمن كان يتحدث في مناسبة عزاء، وفقد عزيز، وموت قريب، ليس كالذي يتحدث في مناسبة خطبة، أو زواج أو نجاح، أو قدوم غائب، أو تحقيق نصر، فكل مقام له خطابه الذي يناسبه، ولغته التي تصلح له، ففي العزاء ينتقي الخطيب من العبارات التي تحمل معاني المواساة، والتصبير وشد الأزر، وتخفيف المصيبة، وتعميق معاني التحمل والجلد.

أما في المناسبات السارة فيتحدث الخطيب بعبارات السرور والغبطة والابتهاج، ويغرس في النفوس أسباب الفرح والمرح، وهكذا.

وعلى الخطباء أن يراعوا الجو العام للجمهور أثناء الخطبة فمن كان يخطب في جو من الخوف والهلع والرعب أو في جو من الحر أو البرد الشديد، ليس كمن يخطب في جو آمن مريح لطيف، فالقدرة على الاستيعاب في الجمهور الأول ليس كالقدرة على الاستيعاب والتأثير في الجمهور الثاني، فلهذا لغته وما يناسبه، ولهذا لغته وما يناسبه.

أما في خطب المناسبات، دينية كانت أم وطنية أو غير ذلك، فعلى الخطيب أن يراعي ذلك، فلا يتحدث في ذكرى بدرعن دروس أحد، كما لا يتحدث في هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - عن دروس الإسراء والمعراج، وقد سبق الحديث في هذا الموضوع عند اختيار الموضوع.

خلاصة القول: على كل خطيب أن يخطب في الجمهور بما يحقق أكبر قدر من النجاح والتأثير، لتحقيق الغرض المقصود من الخطبة والنجاح المنشود بالطريقة اللائقة، والأسلوب المناسب، والمستوى الأفضل، مراعيا حال الجمهور، آخذا بالاعتبار كسب الجمهور، واستمالته لصالح الخطيب، وموضوع الخطبة، وليس تنفيره وإثارته ضد الخطيب.

فهرس المحتويات

المقدمة..... 3

نشأة الخطابة..... 5

زاد الخطيب الناجح..... 16

أسباب ضعف الخطباء في هذا الزمان..... 31

عوامل النهوض بالخطباء والخطابة..... 40

تعريف الخطابة 44

أجزاء الخطبة 48

مرتكزات الخطبة الناجحة..... 51

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في خُطبته..... 72

سبب ضعف الخطب 76

تحضير الخطبة وإعدادها 78

إعداد العناصر 81

صياغة الخطبة..... 88

الإلقاء..... 91

المخطوب فيه - الجمهور - 104

تم بحمد الله

الكاتب

هو إمام وخطيب مسجد دورا الكبير، وهو أحد الخطباء المشهورين، إذ قضى خمسا وثلاثين سنة في صعود المنابر في أكبر مساجد محافظة الخليل، وفي غيرها من المحافظات، وشارك في كبرى الاحتفالات والمهرجانات، في العديد من المناسبات الدينية، وغير الدينية، في الجامعات والمؤسسات، وخطب في عشرات الألوف من المستمعين، منها مهرجان بشائر النصر الذي أقامته كتلة التغيير والإصلاح قبل انتخابات 2006م بيومين، وقد حضره أكثر من خمسين ألف مستمع - كما قدرت وسائل الإعلام - وقد كانت مشاركته مرتجلة بكل ما في الكلمة من معنى، فلم يكن الكاتب مدرجا على قائمة المتحدثين، وقد طلب منه أن ينقذ الجمهور بعد فشل الكلمة الرئيسية التي كانت مسجلة مسبقا لأحد الأسرى، ولم يكن الصوت فيها مسموعا، فاقترح القائمون على المهرجان مخاطبة الجمهور لوقف حالة الملل ومنع الناس من المغادرة، وخطب بالفعل وبدون تحضير أو إعداد، وقد شهد القاصي والداني بجودة الإلقاء في تلك المشاركة، والتي ذكر فيها لأول مرة كلمة (تسونامي إسلامي) والتي أطلقت فيما بعد على نتائج انتخابات 2006م، التي فاز فيها الكاتب وحصل على أعلى الأصوات في الضفة الغربية، فالفضل لله أولا، ثم صعود المنابر، وما كان للكاتب أن يحصل على هذه النتيجة، وما كان بالإمكان حصد هذه الثقة لولا العوم في بحر هذا الفن، وصعود المنابر ومخاطبة الجماهير، في كل المناسبات، وفي كل الفرص المتاحة.